جنة الأرض

اسم الكتاب: جنة الأرض

المؤلف: أحمد فؤاد

تصميم الغلاف: رامي هاني

التنسيق والإخراج الفني: رحاب محمد

الطبعة الأولى: 2023

الناشـــــر: دار عامر للنشر والتوزيع

رقم الإيداع: 2203/ 2023

الترقيم الدولي ISBN: 978-977-6966-25-8

جميع حقوق طبع ونشر هذا الكتاب محفوظة لدى دار عامر للنشر والتوزيع والمؤلف، وأي محاولة لطباعة الكتاب بأي شكل من الأشكال دون الرجوع إلى الدار والمؤلف يعرض صاحبه للمسائلة القانونية.

جنة الأرض

أحمد فؤاد

2023

رسالة

هذه الصفحات التى بين يديك هى أشبه برحلة نحتاج للبدء فيها فى دنيانا، نحتاج لأن نبحر غوصاً فى أعماق بحورها ونزور أماكنها داخل أنفسنا، أن تسكن قلوبنا بنفحاتها وأنوارها، لتهدأ شهواتنا فى محطات تلك الرحلة، يا صديقى هى رحلة سنبدأها سويا بالله ومع الله بقلوب عطشة لنرتوى – شوقا وطمعا وقربا– من الله بذكره لنحيا تلك الحياة الطيبة فى أرضه التى وعدنا بها سبحانه وتعالى.

لنعيش بأرواحنا فى جنة الأرض داعين الله سبحانه وتعالى طمعا أن يدخلنا برحمته فى جنة السماء..

كانَ بَعْضُ العارِفِينَ يَقُولُ: "إنَّهُ لَتَمُرُّ بِي أوْقاتٌ أقُولُ فِيها إنْ كانَ أهْلُ الجَنَّةِ فِي مِثْلِ هَذا إنَّهم لَفي عَيْشٍ طَيِّبٍ".

(تفسير ابن القيم)

أمَّن يجيب المضطَّر

عندما تشتد البلايا والمحن، وتزيد الدنيا من صفعاتها لنا بمشاكل فوق الوسع والطاقة، وتضاء الأنوار الحمراء داخلنا معلنة التوقف المرورى التام داخل عقولنا نظرا لازدحام الأفكار بداخلنا، حالة من الشلل التام تعترينا ؟! ما الحل ؟ وأين سبيل الرشاد للخروج من تلك الأزمات المتعاقبة علينا كتعاقب الليل والنهار بلا راحة ؟!

وقتها وعندما نصل إلى حافة قدراتنا على التحمل، وتتعالى الصرخات بداخلنا سائلين أين المفر من ذلك الألم وتلك الضمة التى تعتصرنا بدون أى مراعاة لحالة اليأس التى وصلنا إليها، عندما تصبح قلوبنا قاب قوسين أو أدنى أن تخور قواها وتستسلم لجيوش اليأس، تستسلم معلنة يقينها باستحالة عبورنا من تلك المحن والابتلاءات الدنيوية الطاحنة، سواء أكانت ابتلاءات مادية بسبب ضيق فى الرزق، أو نفسية بسبب تعب من حالة إنفصال شريك أو فقدان شخص عزيز بوفاته أو سفره أو انشغاله، أو اجتماعية بسبب مشاكل فى العمل مع زملاءك أو مديرك، أو أسرية من قطيعة رحم بسبب مشاكل بين الأقارب أو غير ذلك من الابتلاءات والمشاكل والهموم، أيا كان نوعها فقد وصلنا إلى حافة تحملنا لها، عند وصولنا لتلك الحالة وذاك الشعور، تأمل..

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ [يوسف ١١٠]

"حتى إذا يئس الرسل من إيمان قومهم، وظنَّ المُرسلُ إليهم أن الرسل قد كَذَبوهم فيما أخبروهم عن الله، جاء نصرُنا لرسلنا عند شدة الكرب، فننجي من نشاء من الرسل وأتباعهم، ولا يُرَدُّ عذابنا عمَّن أجرم وتجرَّأ على الله. وفي هذا تسلية للنبي ﷺ".

(التفسير الميسر)

حينها فقط يأتينا المدد من مالك النصر والسعادة والراحة والسكينة، من الله سبحانه وتعالى، يا صديقى بالله على قلبك لا تكابر، كفاك معاندة بالبعد عمن سوف يفرج همك ويفك كربك، قد جربنا كل أنواع اللذَّات الدنيوية من سجائر ننفث مع دخانها ما بداخل قلوبنا من ألم وحسرة، ومخدرات نُتَوِّه فى دخانها ذكريات مؤلمة نريد بشدة أن ننساها، قد جربنا كل تلك اللذَّات الدنيوية وأكثر، والتى كان هدفها الوحيد هو الهروب الدائم من الجلوس وحيدا كى لا نتذكر مشاكلنا، نحاول دائما الإنشغال عن أنفسنا بسبب وبدون سبب، هروب الهدف الوحيد منه هو النسيان لما يحدث لنا، نسيان ولو بشكل مؤقت لا يسمن ولا يغنى من أمن أو سكينة أو راحة قلب وبال، قد جربنا يا صديقى كل ذلك وأكثر ولم نجد راحة ولا سعادة، كل المشاعر كانت زائفة ووقتية، أتذكر..

﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾

[الحشر ١٩]

"والحرمان كل الحرمان، أن يغفل العبد عن هذا الأمر، ويشابه قوما نسوا الله وغفلوا عن ذكره والقيام بحقه، وأقبلوا على حظوظ أنفسهم وشهواتها، فلم ينجحوا، ولم يحصلوا على طائل، بل أنساهم الله مصالح أنفسهم، وأغفلهم عن منافعها وفوائدها، فصار أمرهم فرطا، فرجعوا بخسارة الدارين، وغبنوا غبنا، لا يمكنهم تداركه، ولا يجبر كسره، لأنهم هم الفاسقون، الذين خرجوا عن طاعة ربهم وأوضعوا في معاصيه".

(تفسير السعدى)

كفانا بعدا يا صديقى، أريت ما أوصلنا بعدنا عن الله وعن ذكره وعن طلب العون والمدد منه، قد سلمتنا غفلتنا عن ذكره إلى شهوات أنفسنا ورغبات دنيانا ومطامع شيطاننا، قد سلمتنا غفلتنا إلى مشاعر اليأس والاستسلام والقنوط من رحمة الله بأن نخرج مما نمر به من مشاكل وهموم وبلايا، كفانا غفلة وبعدا عمن سيجيب اضطرارنا إلى عونه ومدده نحن الفقراء دائما وأبدا إلى حوله وقوته، تأمل بقلبك..

﴿ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [النمل ٦٢].

"أي: هل يجيب المضطرب الذي أقلقته الكروب وتعسر عليه المطلوب

واضطر للخلاص مما هو فيه إلا الله وحده ؟ ومن يكشف السوء أي: البلاء والشر والنقمة إلا الله وحده ؟"

(تفسير السعدى)

أرأيت لا سبيل للخروج من كبوتنا وسقوطنا إلا بدعائه وطلب العون والمدد منه، لا سبيل للنهوض مجددا إلا بحوله وقوته، لا سبيل إلى زوال ما نحن به من مشاكل وهموم إلا بالاستعانة به ولزوم بابه، لا سبيل إلى نسيان ذكريات قد تعبنا من تذكرها إلا بتذكره وطلب الفرج منه سبحانه وتعالى، لا سبيل إلى الرشاد إلا به فهو سبحانه من يملك فى خزائنه كله شئ..

﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾ [الحجر ٢١].

"وما من شيء من منافع العباد إلا عندنا خزائنه من جميع الصنوف، وما ننزله إلا بمقدار محدد كما نشاء وكما نريد، فالخزائن بيد الله يعطي من يشاء ويمنع من يشاء، بحسب رحمته الواسعة، وحكمته البالغة".

(التفسير الميسر)

أقبل ولا تخف، أقبل على الودود، من يفرح بودك وبطلبك منه، أقبل على من يملك السكينة وراحة القلب وصلاح البال، من يملك السعادة، من يحبك ويحب الخير لك، وهو أرحم بك من أمك يا صديقى، تذكر جيدا كل ما عليك أن تفعله هو أن تدعوه وتطلب منه ما تريد بيقين أنه لن يرد رفع يديك إليه خائبا، ارفع يديك فى صلاتك وادعوه بما تريد، لا يهمك لغتك ولا

صياغتك لكلامك، ادعوه بما يورد على ذهنك وعلى قلبك، ادعوه وسيقبل يا صديقى، ولا تقلل من شأن الدعاء ولا تتعجل فجزاء دعاءك وحده والله سينسيك ما تمر به فاصبر واحتسب صبرك لله، وتذكر حين يحاول الشيطان أن ييأسك من الدعاء حين تتأخر الإجابة، واجه شيطانك بكلام ابن القيم فى تفسيره، تأمل وتذكر بقلبك يا صديقى السطور التالية..

"والدُّعاءُ مِن أنْفَعِ الأدْوِيَةِ، وهو عَدُوُّ البَلاءِ، يَدْفَعُهُ، ويُعالِجُهُ، ويَمْنَعُ نُزُولَهُ، ويَرْفَعُهُ، أوْ يُخَفِّفُهُ إذا نَزَلَ، وهو سِلاحُ المُؤْمِنِ.

كَما رَوى الحاكِمُ في صَحِيحِهِ مِن حَدِيثِ عَلِيِّ بْنِ أبِي طالِبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قالَ: قالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الدُّعاءُ سِلاحُ المُؤْمِنِ، وعِمادُ الدِّينِ، ونُورُ السَّماواتِ والأرْضِ».

لِلدُّعاءِ مَعَ البَلاءِ مَقاماتٌ.

وَلَهُ مَعَ البَلاءِ ثَلاثُ مَقاماتٍ:

أحَدُها: أنْ يَكُونَ أقْوى مِنَ البَلاءِ فَيَدْفَعُهُ.

الثّانِي: أنْ يَكُونَ أضْعَفَ مِنَ البَلاءِ فَيَقْوى عَلَيْهِ البَلاءُ، فَيُصابُ بِهِ العَبْدُ، ولَكِنْ قَدْ يُخَفِّفُهُ، وإنْ كانَ ضَعِيفًا.

الثّالِثُ: أنْ يَتَقاوَما ويَمْنَعَ كُلُّ واحِدٍ مِنهُما صاحِبَهُ".

(تفسير ابن القيم)

أرأيت يا صديقى ما نفع الدعاء، والله -الدعاء- هو يحتاج منا إلى

صفحات نكتب سطورها بأعمارنا وليس بأقلامنا، ولكننا بقصور تفكيرنا وعجزنا عن كمال وصف الدعاء وفضائله وعظيم أجره، فإننا نحاول محاولات هنا وهناك لعلنا نلمس بسطورنا قلب قد أتعبته الحياة وألجأته الظروف إلى قراءة سطور هذا الكتاب الذى بين يديك فارتوى بكلمة أو جملة تذَّكر بها فضل الله عليه ولازم بها بابه، أو صبَّرته كلمة أو جملة وما الصبر يا صديقى إلا من عند الله فاصبر وأبشر والله بقرب الفرج، والله ليس مجرد كلام أصبرك به ولكنها الحقيقة، هو سبحانه منذ ولادتنا وهو يكلأنا برحمته وكم من نعم طلبناها منه سبحانه وتعالى وتمنيناها وأعطاها لنا ثم ألفناها واعتدنا وجودها ونسيناها، وطلبنا نعم أخرى فتأخر الجواب فقنطنا من رحمته ويأسنا، أتذكر -اكتب نعمة تتنعم بها الآن قد دعيت الله بها واستجاب- استحضرها بقلبك.

.....

.....

قد خلقنا يا صديقى وفى طبعنا النسيان فدعنا نتذكر سويا فى الصفحات القادمة جزء ضئيل من نعم الله علينا التى لا تعد ولا تحصى، هى محطة مهمة قبل الوصول إلى محطة جنة الأرض ؟!

سبق المُفَرِّدون

"**قال أحد العارفين**: إنَّهُ لَيَمُرُّ بِالقَلْبِ أوْقاتٌ يَرْقُصُ فِيها طَرَبًا".

(تفسير ابن القيم)

أصدقك القول أنى لا أريد أن أجعل سطور هذا الفصل سرد مجرد من الإحساس، لا أريد أن أسرد فيه نعم الله من عين وسمع وأفئدة بمجرد تذكيرك بها، لا أريد أن يتسلل الملل إلى قلبى وقلبك من الارتواء بمعانى سطور هذه الصفحات، فقررت يا صديقى أن أوعد قلبك بأن أكتب ما يفتح الله به على عقلى وبما يمليه على قلبى من تدبر لنعمه، فوددت أن أستفتح معك هذا الفصل بنقل غاية فى الروعة -من كتاب العقيدة فى ضوء الكتاب والسنة- أنقله لى ولك لنزين به قلوبنا ونرتوى من عقيدة الإيمان بوجود الله الخالق لكل النعم التى أنعم بها علينا، وذلك قبل أن ندور فى فلك تلك النعم ووصفها، تأمل بقلبك يا صديقى..

"إن آيات الله فى الكون لا تتجلى على حقيقتها الموحية إلا للقلوب الذاكرة العابدة، لأن هذه القلوب انكشفت عنها الحجب وتفتحت واتصلت بالكون العجيب، فالقرآن أقام الوصلة بين القلب البشرى وإيقاعات هذا الكون الهائل الجميل، وهذه الوصلة هى التى تجعل للنظر فى كتاب الكون والتعرف إليه أثرا فى هذا القلب البشرى، وقيمة فى الحياة البشرية.

هذه هى الوصلة التى يقيمها القرآن بين المعرفة والعلم وبين الإنسان الذى يعلم ويعرف، ولذلك نص القرآن على أن الذى يهتدى بآيات الكون هم صنف معين من الناس..

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [آل عمران ١٩٠-١٩١]

هؤلاء هم الذين ينتفعون بآيات الكون، لأنهم لم يقفوا عند حدود المنظر المشهود البادى للعيان، بل نظروا إلى اليد التى تسيره والقدرة التى تصنعه، إنهم يستخدمون أبصارهم وأسماعهم وعقولهم وأفكارهم على خير وجه فى هذا المجال، مسترشدين بآيات الله التى تعين السمع والبصر والفكر والعقل على التوصل إلى خير ما يمكن للإنسان أن يصل إليه..

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [الروم ٢٠-٢٤]

فالآيات تتكشف للذين يتفكرون ويسمعون ويعقلون؛ أى على وجه الحقيقة المؤدية إلى المطلوب".

(الدكتور عمر سليمان الأشقر)

ما حال قلبك الآن يا صديقى، كلنا يدرك بفطرته السوية أنه لا إله حقا ولا وجود لأى إله إلا الله وحده لا شريك له، ولكن تلك الفكرة – البذرة– لا نسقيها بالتفكر والتدبر فيها لتتحول بداخل قلوبنا إلى عقيدة نعيش بها ولها، إذا كنت ترانى أهول فى كلامى فاسأل نفسك متى آخر مرة رفعت بصرك إلى السماء بتأمل خاشع، بتأمل من يحاول أن يرى من خلف تلك السحب المزينة للسماء، بتأمل يلهج بذكر سبحان الله، سبحانك ما خلقت هذا باطلا، أم نمر عليها كحال أغلبنا –إلا من رحم ربى– معرضين عافانا الله..

﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾

[يوسف ١٠٥]

"وكثير من الدلائل الدالة على وحدانية الله وقدرته منتشرة في السموات والأرض، كالشمس والقمر والجبال والأشجار، يشاهدونها وهم عنها معرضون، لا يفكرون فيها ولا يعتبرون".

(التفسير الميسر)

اليقين بالله يا صديقى يبدأ من التفكر فى خلقه، فكلما أيقنت بعظمة خلقه من سماوات وأرض تجد فى قلبك حلاوة اليقين بعظمته سبحانه وتعالى، كلما نظرت إلى السماء بتفكر فى ما فيها من سحب ورعد وبرق ونجوم وما هو غير مرئى بالعين المجردة من كواكب تدرك بيقين أنه لا إله إلا الله سبحانه الخالق المقتدر، تأمل حث الله سبحانه وتعالى لنا أن ننظر ونتفكر فى خلق السماء..

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗاۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ﴾ [الملك ٣]

"الذي خلق سبع سموات متناسقة، بعضها فوق بعض، ما ترى في خلق الرحمن -أيها الناظر- من اختلاف ولا تباين، فأعد النظر إلى السماء: هل ترى فيها مِن شقوق أو صدوع ؟".

(التفسير الميسر)

أصدقك القول والله إنى لأجد إنشراحا فى صدرى وفرحا فى قلبى من مجرد إدراك وجوده سبحانه وتعالى بيقين من يتدبر ويتفكر فى خلقه سبحانه وتعالى، ذكر الله يا صديقى يبدأ من التفكر فى عظيم خلقه ومالنا ألا ننظر إلى كبر حجم السماء والأرض..

﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [غافر ٥٧].

"يخبر تعالى بما تقرر في العقول، أن خلق السماوات والأرض -على عظمهما وسعتهما- أعظم وأكبر، من خلق الناس، فإن الناس بالنسبة إلى خلق السماوات والأرض من أصغر ما يكون".

(تفسير السعدى)

إذا كنت لا تزال ترانى أبالغ فاسأل نفسك يا صديقى متى آخر مرة نظرت فى خلقك ؟ نعم فى خلقك أنت، فى شكل أصابعك وتيسير الله لك حركتها فهناك غيرك من بترت تلك الأصابع عنده، أتفكرت فى خلق الله لك سمعك وبصرك ومن هم محرومون من تلك النعم التى لا تقدر بثمن،

﴿ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ [المؤمنون ٧٨]

أنظرت فى نومك، تلك الميتة الصغرى، ننام كل ليلة ولا ندرى ما يُفعل بنا ولا ما يُفعل بداخلنا، ننام ويقلبنا سبحانه عن اليمين وعن الشمال وأجهزتنا تعمل بكفاءة وباتساق وبتوازن قدَّره الله سبحانه وتعالى لنا.

ذلك التفكر يا صديقى هو بذرة العقيدة التى بها ندرك بيقين بأن الله حى موجود دائما وأبدا، والتى بإدراكها نلجأ إليه سبحانه وتعالى فى أمورنا كلها، نلجأ إليه طمعا فيما عنده من نعم نتمناها فى الدنيا وشوقا إلى نعيم الجنة نطلبها منه ونرجوه أن يدخلنا إياها فى الآخرة، عقيدة نطمئن بها.

عقيدة تجعل لذكر الله حلاوة فى اللسان، حلاوة يا صديقى بالمعنى الحرفى والحسى للكلمة، أتذكر أيام صيام رمضان وكيف كانت شفتاك عطشة لقطرة ماء لتلين بها ما فى الفم من جمود لعدم وجود اللعاب به، أتذكر ذلك اليوم وقت أن ذكرت الله فوالله وجدت فى فمك لعاب لا تدرى من أين أتى ؟! هو نفحة من الرحمن الرحيم بك الذى منَّ عليك بذكره وأكمل منته بلعاب صبَّرك به على تعب ومشقة الصيام، ولمن لم يجرب ذلك فمازالت الفرصة متاحة يا صديقى جرب أنت ما أقول جرب أن تذكر الله فى صومك ووالله لترى ما أقول فلا تنسانى حينها من صالح دعاءك بظهر الغيب يا صديقى.

أقولها لك بصدق والله شاهد علىَّ، إن فى قول لا إله إلا الله لحلاوة فى اللسان وسرور وأمان وطمأنينة فى القلب وانشراح فى الصدر من الصعب على الفقير إلى الله أن يصفه ولكنى سأحاول أن أجد لك نقلا يا صديقى نروى به صدورنا العطشة إلى الإحساس بمعنى تلك الحالة التى أعجز صدقا عن وصفها لك، فإليك هذا النقل يا صديقى فتأمله جيدا..

"الطمأنينة إلى اللّه سبحانه حقيقة ترد منه سبحانه على قلب عبده تجمعه عليه، وترد قلبه الشارد إليه حتى كأنه جالس بين يديه ؟ يسمع به ويبصر به ويتحرك به ويبطش به، فتسري تلك الطمأنينة في نفسه وقلبه ومفاصله وقواه الظاهرة والباطنة تجذب روحه إلى اللّه ويلين جلده وقلبه

ومفاصله إلى خدمته والتقرب إليه ولا يمكن حصول الطمأنينة الحقيقة إلا باللّه وبذكره وهو كلامه الذي أنزله على رسوله كما قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴾.

فإن طمأنينة القلب سكونه واستقراره بزوال القلق والانزعاج عنه، وهذا لا يتأتى بشي ء سوى اللّه تعالى وذكره البتة، وأما ما عداه فالطمأنينة إليه وبه غرور والثقة به عجز قضى اللّه سبحانه وتعالى قضاء لا مرد له أن من اطمأن إلى شيء سواه أتاه القلق والانزعاج والاضطراب من جهته كائنا من كان، بل لو اطمأن إلى سواه أغراضها بسهام البلاء ليعلم عباده وأولياؤه أن المتعلق بغيره مقطوع، والمطمئن إلى سواه عن مصالحه ومقاصده مصدود وممنوع.

وكذلك يطمئن من قلق الغفلة والإعراض إلى سكون الإقبال على اللّه حلاوة ذكره وتعلق الروح بحبه ومعرفته فلا طمأنينة للروح بدون هذا أبدا ولو أنصفت نفسها لرأتها إذا فقدت ذلك في غاية الانزعاج والقلق والاضطراب ولكن يواريها السكْر فإذا كشف الغطاء تبين له حقيقة ما كان فيه.

وهاهنا سر لطيف يجب التنبيه عليه، والتنبيه له والتوفيق له بيد من أزمة التوفيق بيده وهو أن اللّه سبحانه جعل لكل عضو من أعضاء الإنسان كمالا إن لم يحصل له فهو في قلق واضطراب وانزعاج بسبب فقد كماله الذي

جعل له مثالا كمال العين بالإبصار، وكمال الأذن بالسمع، وكمال اللسان بالنطق، فإذا عدمت هذه الأعضاء القوى التي بها كمالها حصل الألم والنقص بحسب فوات ذلك، وجعل كمال القلب ونعيمه وسروره ولذته وابتهاجه في معرفته سبحانه وإراداته ومحبته والإنابة إليه والإقبال عليه والشوق إليه والأنس به، فإذا عدم القلب ذلك كان أشد عذابا واضطرابا من العين التي فقدت النور الباصر ومن اللسان الذي فقد قوة الكلام والذوق، ولا سبيل له إلى الطمأنينة بوجه من الوجوه ولو نال من الدنيا وأسبابها".

(تفسير ابن القيم)

أستودع قلبك بخير حال حتى ألقاك فى سطور الصفحات القادمة يا صديقى.

....

التوحيد

أعلم يا صديقى ولست بناسيًا بأننا أنهينا الفصل السابق بدون ذكر ما دل عليه عنوانه وهو (سبق المُفَرِّدون)، وبدون أن ندخل جنة الأرض، ولكن صدقا كان لحلاوة وصف شيخنا ابن القيم ما وقر فى قلبى من تكرار قراءته لذة أحسست وقتها بأننى يجب أن أنهى الفصل الفائت بها، وما المُفَرِّدون عن ذلك المعنى ببعيد يا صديقى، تأمل..

"كانَ رَسولُ اللهِ ﷺ يَسِيرُ في طَرِيقِ مَكَّةَ، فَمَرَّ على جَبَلٍ يُقالُ له: جُمْدانُ، فَقالَ: سِيرُوا، هذا جُمْدانُ، سَبَقَ المُفَرِّدُونَ، قالوا: وَما المُفَرِّدُونَ يا رَسولَ اللهِ ؟ قالَ: الذّاكِرُونَ اللهَ كَثِيرًا والذّاكِراتُ".

(أبو هريرة – صحيح مسلم ٢٦٧٦)

"«سَبَقَ المفرِّدون»، أي: المُفَرِّدونَ أَنفُسَهم عن أَقرانِهم، المُميِّزونَ أَحوالَهم عن إِخوانِهم بنَيلِ الزُّلفى والعُروجِ إلى الدَّرجاتِ العُلى؛ لأنَّهم أُفرِدُوا بذِكرِ اللهِ عمَّن لم يَذكُرِ اللهَ، أو جَعَلوا رَبَّهم فَردًا بالذِّكرِ، وتَركوا ذِكرَ ما سِواه.

فكأنَّهم قالوا: ما صِفةُ المُفرِّدين حتّى نَتأسّى بِهم فنَسبِقَ إلى ما سَبقوا إليهِ ونَطَّلعَ على ما اطَّلعوا عَليه ؟ «قال: الذّاكرونَ اللهَ كَثيرًا» أَي: ذِكرًا كَثيرًا

في أكثرِ أَحوالِهم، وهذا المساقُ يدُلُّ على أهمِّيَّةِ الذِّكرِ الكثيرِ، وهو ما أمَرَ اللهُ به في قولِه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤١، ٤٢]، ويَقَعُ ذِكرُ اللهِ باللِّسانِ فقطْ، أو بالقلبِ فقطْ، أو باللِّسانِ والقلْبِ معًا، وهو أعْلاهم مَرتَبةً، ويكونُ ذِكرُ اللهِ سُبحانه بكلِّ ما ورَدَ في كِتابِه تعالى، وسُنَّةِ نَبيِّه ﷺ".

(الدُّرَر السَّنِية)

أعلمت من هم المفردون الذين عنونَّا الفصل الفائت بهم، أرأيت أنهم هم الذاكرون الله كثيرا فاطمأنت قلوبهم بذكر الله، فأمنت وسكنت، وهدأت شهوات أنفسهم واستطاعوا مواجهة همومهم وأحزانهم وسقوطهم بذكر الله لسانا وقلبا، حقا يا رسول الله فقد سبق المُفَرِّدون اللهم اجعلنا منهم.

ولكن لنا هنا سؤال؛ لماذا برغم يقيننا بأنه لا إله إلا الله إلا أننا ننسى التفكر والتدبر فى خلقه فى أنفسنا وفيما حولنا ؟!

صدقا قد طرحت ذلك السؤال يا صديقى لكى أنقل لك سردا أحسبه ماتعا واصفا وبدقة سبب داء الغفلة التى نعيشها فى عصرنا هذا برغم التقدم العلمى والذى يثبت بشكل صارخ وواضح تماما للعيان بأنه لا إله إلا الله والشاهد والمعجز هو كلام الله الذى أنزله الله إلى الأرض منذ أكثر من ١٤٠٠ عام وهو القرآن الكريم، ومازال العلم يثبت باستدلالاته اليوم عما أورده الله فى كتابه الكريم منذ نزوله بأن آياته حقًا هى من خالقنا وصدق الله حين قال..

﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة: ٢].

"ذلك القرآن هو الكتاب العظيم الذي لا شَكَّ أنه من عند الله، فلا يصحُّ أن يرتاب فيه أحدٌ لوضوحه، ينتفع به المتقون بالعلم النافع والعمل الصالح، وهم الذين يخافون الله، ويتبعون أحكامه".

(التفسير الميسر)

لنكمل يا صديقى، سأنقل إليك السطور التالية بقلب يدعو الله أن تثبت جذور عقيدة لا إله إلا الله فى قلبك، حتى تجد حلاوة ذكره فى قلبك ولسانك..

"إن مناهج البحث التى يسمونها (علمية) فى هذا الزمان تقطع ما وصل الله من وشيجة بين الناس والكون الذى يعيشون فيه.

فالناس قطع من هذا الكون لا تصح حياتهم ولا تستقيم إلا حين تنبض قلوبهم على نبض هذا الكون، وإلا حين تقوم وثيقة بين قلوبهم وإيقاعات هذا الكون الكبير، وكل معرفة بنجم من النجوم، أو فلك من الأفلاك، أو خاصة من خواص النبات والحيوان، أو خواص الكون كله على وجه الإجمال، وما فيه من عوالم حية وجامدة -إذا كانت هناك عوالم جامدة- أو أى شئ واحد جامد فى هذا الوجود.

كل معرفة (علمية) يجب أن تستحيل فى الحال إلى إيقاع فى القلب البشرى، وإلى ألفة مؤنسة بهذا الكون، وإلى تعارف يوثق أواصر الصداقة

بين الناس والأشياء والأحياء، وكل معرفة أو علم أو بحث يقف دون هذه الغاية الحية الموحية المؤثرة فى حياة البشر، هى معرفة ناقصة، أو علم زائف، أو بحث عقيم.

إن هذا الكون هو كتاب الحق المفتوح الذى يُقرأ بكل لغة، ويدرك بكل وسيلة، ويستطيع أن يطالعه الساذج ساكن الخيمة وساكن الكوخ، والمتحضر ساكن العمائر والقصور، كل يطالعه بقدر إدراكه واستعداده، فيجد فيه زادا من الحق، حين يطالعه بشعور التطلع إلى الحق، وهو قائم مفتوح فى كل آن ﴿ تَبۡصِرَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ ﴾ [ق: ٨].

ولكن العلم الحديث يطمس هذه التبصرة، أو يقطع الوشيجة بين القلب البشرى والكون الناطق المبين، لأنه فى رؤوس مطموسة رانت عليها خرافة (المنهج العلمى)، المنهج الذى يقطع ما بين الكون والخلائق التى تعيش فيه.

والمنهج الإيمانى لا ينقص شيئا من (المنهج العلمى) فى إدراك الحقائق المفردة، لكنه يزيد ربط هذه الحقائق المفردة بعضها ببعض، وردها إلى الحقائق الكبرى، ووصل القلب البشرى بها، أى وصله بنواميس الكون وحقائق الوجود، وتحويل هذه النواميس والحقائق إلى إيقاعات مؤثرة فى مشاعر الناس وحياتهم، لا معلومات جامدة جافة متحيزة فى الأذهان لا تفضى لها بشئ من سرها الجميل، والمنهج الإيمانى هو الذى يجب أن تكون له

الكرة فى مجال البحوث والدراسات ليربط الحقائق العلمية التى يهتدى إليها، بهذا الرباط الوثيق".

(العقيدة فى ضوء الكتاب والسنة)

أرأيت سبب غفلتنا وبعدنا عن تدبر آيات الله فى خلقه، نمر على السماء وهى مرفوعة بلا أعمدة، ونرى نجوم تتلألأ فيها، ونستمتع بدفء آشعة الشمس، وتنار دنيانا ليلا بالقمر، نعلم أن البذور فى داخل الأرض إذا ارتوت بالماء والشمس أنبتت ثمارها بشتى الأشكال والأحجام والنكهات والأطعمة، مع أنها تسقى بماء واحد ومزروعة فى أرض واحدة، ولكننا نمر على كل تلك الآيات وغيرها معرضين بلا تدبر ولا تفكر، نعلم أنه لا إله إلا الله وأنه سبحانه فوق العرش وهو فوق السماوات السبع ولا ترتعش أبصارنا بدموع الشوق إلى لقائه حين ننظر إلى السماء.

أرأيت يا صديقى تلك الغفلة التى تعمى بصيرة قلوبنا عن الإعتقاد صدقا ويقينا بأنه لا إله إلا الله، كلنا يقولها ولكن من منا يذوق حلاوتها بلسانه وقلبه ؟ من منا ترتوى بها جوارحه لتخشع وتزداد إيمانا بخالق الكون ومدبر الأمر ؟ من يرقص قلبه فرحا بذكر الله ؟ من سكن قلبه وهدأت روحه بلا إله إلا الله ؟

من يريد بقلبه أن يدخل جنة الله فى أرضه؟

أقولها لك يا صديقى بقلب يحبك فى الله بأن لله جنة فى الأرض كما أن

هناك جنة له فى السماء؛

جنة الأرض هى ذكر الله، حقا والله إنها ذكر الله

فانفض عن قلبك يا صديقى غبار الغفلة ودعنا نرى الخلق بعين التفكر فيمن خلقهم وفى عظمته وعظمة صنعه، دعنا نكبره ونعظمه سبحانه وتعالى فى قلوبنا، دعنا ندعوه طامعين بأن يجعلنا من المفردون ممن يذكرونه فى كل أوقاتهم، فى السر والعلن، وفى السراء والضراء، باللسان وحده، وبالقلب وحده، وبهما معا، دعنا نكبر الله عن كل ما سواه..

﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ [المدثر ٣].

"﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾، واخْتَصَّ رَبَّكَ بِالتَّكْبِيرِ، وهو التَعْظِيمُ، أيْ: لا تُكْبِرْ في عَيْنِكَ غَيْرَهُ، وقُلْ عِنْدَما يَعْرُوكَ مِن غَيْرِ اللهِ: "اَللَّهُ أكْبَرُ"، ورُوِيَ أنَّهُ لَمّا نَزَلَ قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « "اَللَّهُ أكْبَرُ"، فَكَبَّرَتْ خَدِيجَةُ» وفَرِحَتْ، وأيْقَنَتْ أنَّهُ الوَحْيُ".

(تفسير النسفى)

ألقاك على خير فى الفصل الآتى لنتعلم كيف نعيش فى جنة الله – ذكره سبحانه – فى الأرض يا صديقى..

....

ثمرة التَفَكُّر

قال بشر:" لو تفِكَّر الناس في عظمة الله ما عصوا الله عز وجل".

قد ارتوينا يا صديقى فى الفصل السابق بالجزء اليسير مما فتح الله على بصيرة قلوبنا بسكينة أنه حقا وصدقا ويقينا لا إله إلا هو، ووصلنا محطة جنة الأرض، فإذا بقلبى قد ظمأ من طول الطريق تراه عطش إلى المزيد من الارتواء من ماء جنة الله فى أرضه -وهو ذكره سبحانه وتعالى-، تعالى معى نرتوى من ذكره سبحانه وتعالى لتثبت جذور تلك العقيدة فى صدورنا، فتنبت ثمار الإيمان بداخل قلوبنا، فيحيينا بها ربنا تلك الحياة الطيبة فى الدنيا التى أدعو الله لى ولك يا صديقى بأن يجعلنا من أهلها..

﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل ٩٧].

"﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ فإن الإيمان شرط في صحة الأعمال الصالحة وقبولها، بل لا تسمى أعمالا صالحة إلا بالإيمان، والإيمان مقتض لها، فإنه التصديق الجازم المثمر لأعمال الجوارح من الواجبات والمستحبات، فمن جمع بين الإيمان والعمل الصالح ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ وذلك بطمأنينة قلبه، وسكون نفسه، وعدم التفاته لما يشوش

عليه قلبه، ويرزقه الله رزقا حلالا طيبا من حيث لا يحتسب.

﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ﴾ في الآخرة ﴿أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ من أصناف اللذات مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. فيؤتيه الله في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة".

(تفسير السعدى)

إذن ماذا بعد ذلك اليقين يا صديقى ؟ لابد لنا من إعمال القلب والعقل لنتفكر فى عظمة الله سبحانه وتعالى، أن نبدأ بفهم معانى الأدعية التى ندعوه بها، ولنبدأها سويا بفهم ذلك الدعاء الذى ندعوه به فى كل ركعة -سبحان الله العظيم - وفى كل سجود -سبحان ربى الأعلى- ما معنى (سبحان الله) ؟ تفكَّر فى الجواب بما فتح الله به علينا من نقول يا صديقى..

□ "وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ عن أن يظن به نقص أو سوء بل هو الكامل في وصفه وفعله".

(تفسير السعدى)

□ "﴿وسُبْحانَ اللَّهِ﴾ أيْ: ونَزِّهِ المَلِكَ الَّذِي لَهُ الكَمالُ المُطْلَقُ تَنْزِيهًا يَلِيقُ بِجَلالِه".

(نَظْم الدُّرَر للبِقاعى)

□ ﴿فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨﴾ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

"قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ تَنْزِيهاً وَتَقْدِيساً لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. وَقِيلَ: إِنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَهُ حِينَ فَرَغَ مِنْ سَمَاعِ النِّدَاءِ، اسْتِعَانَةً بِاللَّهِ تَعَالَى وَتَنْزِيهاً لَهُ، قَالَهُ السُّدِّيُّ. وَقِيلَ: هُوَ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى. وَمَعْنَاهُ: وَبُورِكَ فِيمَنْ سَبَّحَ اللَّهَ تَعَالَى رَبَّ الْعَالَمِينَ، حَكَاهُ ابْنُ شَجَرَةَ".

(تفسير القرطبى)

□ "والتَّسبيح: التَّنْزِيهُ. وَسُبْحَانَ اللَّهِ: مَعْنَاهُ تَنْزِيهاً لِلَّهِ مِنَ الصَّاحِبَةِ وَالْوَلَدِ، وَقِيلَ: تَنْزِيهُ اللَّهِ تَعَالَى عَنْ كُلِّ مَا لَا يَنْبَغِي لَهُ أَن يُوصَفَ".

(لسان العرب لابن منظور)

إذن قد علمنا سويا معنى دعاء (سبحان الله)، فدعنى أبحر بك أكثر واسوق لك معنى (سبحان الله وبحمده) والذى أكرمنى ربى بالعلم به، ومعناه هو أنى أحمد اللهَ على ما يَسَّرَ لى مِن التَّسبيحِ والطاعاتِ.

وأصدقك القول يا صديقى والله إن الذكر لتزداد حلاوته عند العلم بمعناه، أتمنى أن تجد فى قلبك حلاوة ذكر سبحان الله وبحمده عندما تقوله بعد ذلك فى الصلاة أو عند طمعك فى نيل فضل ذكره.

ما رأيك لو تعلمنا بفضله سويا ما هو فضل ذكر (سبحان الله وبحمده) فيما ورد من أحاديث عن سيدنا محمد ﷺ..

• "[عن أبي ذر الغفاري] قُلْتُ: يا رسولَ اللهِ، أيُّ الكلامِ أحَبُّ إلى اللهِ ؟ قال: ما اصْطَفاهُ لمَلائكتِه: سُبحانَ اللهِ وبحَمدِه، سُبحانَ اللهِ وبحَمدِه، ثلاثًا تَقولُها.."

(أخرجه مسلم ٢٧٣١)

• "[عن جابر بن عبد الله:] (من قال: سُبحانَ اللهِ وبحَمْدِه غُرِسَتْ له به نَخلةٌ في الجنَّةِ".

(صحيح ابن حبان ٨٢٦)

• "[عن أبي هريرة:] سُبْحانَ اللهِ وبِحَمْدِهِ، في يَومٍ مِئَةَ مَرَّةٍ، حُطَّتْ خَطاياهُ، وإنْ كانَتْ مِثْلَ زَبَدِ البَحْرِ.."

(صحيح البخاري ٦٤٠٥)

• "[عن أبي هريرة:] كلِمتانِ خَفيفتانِ على اللِّسانِ، ثَقيلتانِ في الميزانِ، حَبيبتانِ إلى الرَّحمنِ، سُبحانَ اللهِ وبحمدِهِ سُبحانَ اللهِ العظيم".

(صحيح الترمذي ٣٤٦٧)

ونصيحتى لك -من قلب محب لقلب أخيه- عليك بتدبر معانى الأدعية، ابحث عن معناها، وفتش عن أسرارها، اسعى جاهدا أن تصل لذلك وسيسوقه الله لك إذا علم منك النية لذلك، ولسوف تتعجب من جمال ولذة وحلاوة الدعاء الذى أكرمك الله بالعلم بمعناه، سواء أكان ذلك الدعاء

من أذكار الصباح والمساء، أو من ضمن الأدعية المذكورة فى الكتاب والسنة، ولتتعجب أكثر من السرور والانشراح الذى تجده فى قلبك بالعلم بمعانى ذكره سبحانه وبحمده.

وختاما لهذا الفصل أرجو أن لا تنسى أن تتفكر فى خلق الله من سماء وأرض، وفى رزق الله كيف يسوقه لخلقه، وفى نفسك التى بين جنبيك، تفكر بقلبك وعقلك ليرزقك الله بالخير كما قال ابن عباس: "التفكر في الخير يدعو إلى العمل به والندم على الشر يدعو إلى تركه. وإذا كان هم العبد وهواه في الله عز وجل جعل الله صمته تفكراً وكلامه حمداً"

"فالثمرة الخاصة للتفكر، العلم، وإذا حصل العلم في القلب تغير حال القلب، وإذا تغير حال القلب تغيرت أعمال الجوارح، فالعلم تابع للفكر، فالفكر هو المبدأ ينتج علماً والعلم ينتج حال في القلب من الخشية والإحساس بالتقصير في حق الله، والرغبة والجد ينتجها العلم فيؤدي إلى زيادة أعمال الجوارح لأن القلب يأمر الجوارح بالعمل، فيصلح الإنسان ويعلو شأنه ويتحسن حاله من نتيجة التفكر".

(مقال أعمال القلوب – موقع الكلم الطيب)

وتذكَّر أن تنظر إلى نعم الله فى يسرك وعسرك، وأن تكتبها فى مفكرة صغيرة ولتكن كالورد اليومى الخاص بك، تجلس هادئا وتترك قلبك يسرد نعم الله التى أنعم بها عليه فى كل يوم وليلة، اجعلها سطور مقتضبة وواظب

عليها، لتكن مفكرة الحمد لله عادة لك تكتب سطورها بقلبك لكى لا تألف نعم الله المحيطة بك، ولكى تدرك اليسر بين جنبات العسر فى حياتك، ولتبصر محبة الله لك وتدبيره لأمرك فى كل لحظة، ولتصطبر بسطورها عند اشتداد الكرب وتعاظم المحن والبلايا، ولتكن سطورها قصص ترويها لذريتك ولأصدقائك تثبيتا منك لنفسك ولهم وتعظيما لله فى قلبك وقلوبهم، تأمل الآتى:

"محبة الله تحصل من التفكر في النعم، لأن النفس مجبولة على محبة من أحسن إليها، وكذلك فإن التفكر وسيلة لفهم الشريعة و وسيلة للفقه في الدين..

[عن عبد الله بن عباس] "من يُرِدِ اللهُ به خيرًا يُفَقِّهْهُ في الدينِ".

(سنن الترمذي ٢٦٤٥ - حسن صحيح)

وهكذا تحصل البصيرة بالتفكر".

(مقال أعمال القلوب - موقع الكلم الطيب)

ألقاك بخير صحة وخير حال فى الصفحات الآتية..

....

نقطة نظام

بعد أن أكرمنا سبحانه وتعالى فى الفصل السابق بالعلم باليسير من معانى (سبحان الله العظيم)، لا تنسى يا صديقى أن الهدف من هذه الصفحات التى بين يديك هى أن نعيش الحياة الطيبة، أن يدخلنا الله جنته فى الأرض، وعلمنا سويا أن المقصود بتلك الجنة هو ذكر الله ولذة ترديد ذكره بألستنا وقلوبنا، واتفقنا أننا سنجتهد سويا فى فهم معانى الأدعية التى ساقها الله لنا فى القرآن الكريم وفى سنة سيدنا محمد صلَّ الله عليه وسلَّم، فوجب علىَّ أن أدلك على خير تستطيع به بإذن الله وفضله التعلم والاستزادة من الارتواء بمعانى كلام الله عز وجل فى كتابه الكريم، والاستزادة بمعانى الأحاديث التى وردت من سنة نبيه.

أريد منك يا صديقى أن تقوم بتنزيل تطبيق (الباحث القرآنى) على موبايلك والذى به تستطيع التعرف على معانى آيات الله فى القرآن الكريم فى مختلف التفاسير بداية من التفاسير البسيطة المعنى كالتفسير الميسر وتفسير السعدى، ومرورا بالتفاسير التى تهتم بالإعراب كالتحرير والتنوير لابن عاشور، وانتهاءا بمطولات التفاسير التى تهتم بتفسير الصحابة ونزول الآيات كتفسير القرطبى وتفسير الطبرى.

وأريد منك أيضا أن تقوم بتنزيل تطبيق (الباحث الحديثى) والذى من خلاله ستستطيع البحث بكلمات عن الأحاديث لتبحر فى معانيها، بالإضافة لكونه يوفر لك تفاصيل عن صحة الأحاديث التى تبحث عنها، فاستمتع بما سيفتح الله به عليك من خلال تلك التطبيقات.

لنكمل.. انتهينا أننا يجب أن نتعلم معانى أذكار الله المختلفة وفضائلها لكى نرتوى من ماء اليقين الذى يزيد به الإيمان بالله، ويزداد تعظيمه فى قلوبنا فنأتمر بما أمرنا به وننتهى عما نهانا عنه سبحانه وتعالى، ولكن قبل أن نبحر سويا فى بحر جنة الله فى أرضه بالتعرف على معانى أدعية سيفتح الله لنا بنفحات من فهمها وتدبرها وسرد اليسير من التفاسير التى نثبت بها جذور عقيدة لا إله إلا الله داخل صدورنا، إلا إنى قررت أن نتعرف أكثر على من خلقنا قبل التعرف على معانى كلامه، فمن غير المنطقى أن نذكر الله كثيرا بلا ملل ولا كلل كالمفردون ونحن لا نعلم من هو الله ؟ ما وصفه ؟ وما هى صفاته ؟ وهل له نفس -ولله المثل الأعلى- كحالنا ؟

كلها أسئلة يحق لنا أن نعلمها بقلوب قد أيقنت بأن الله هو من خلقنا حقا، وخلق لنا قلبا وأنزل لنا القرآن الكريم -كلام الله- لكى نتدبر آياته كى لا تبتلى قلوبنا بأقفال تمنع رؤيتنا الحقيقية لجنة الله فى أرضه.

أعدك أن قلبك وعقلك سيطيرون فرحا بما سوف نتدارسه سويا فى أوصاف الله تعالى التى وردت إلينا فى الكتاب والسنة.

فهيا مسرعا إلى السطور القادمة، أمسك بتلابيب قلبك وأتنى..

لله ذات

"لله -سبحانه- ذات متصفة بصفات الكمال منزهة عن صفات النقص، والذى يقرأ حديث القرآن عن الله يعلم علما قاطعا بأن له ذاتا ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ ﴾ [البقرة ٢٥٥]

﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ [الإخلاص ١-٤].

وذات الله لا تشبه ذوات المخلوقين، كما أن صفاته لا تشبه شيئا من صفات المخلوقين، فالله هو الكمال الذى لا كمال بعده، وكل مخلوق لابد أن يكون فيه نقص فى جانب من الجوانب، أدناها حاجته وفقره إلى غيره.

يقول الله تعالى نافيا المشابهة بينه وبين خلقه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى ١١]".

(العقيدة فى ضوء الكتاب والسنة)

نفسه سبحانه

"لله تعالى نفس تليق بكماله وجلاله، لا تشبه نفس المخلوقات، وقد أخبرنا الله بذلك فى محكم كتابه، قال تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَ أَنَّهُۥ مَنۡ عَمِلَ مِنكُمۡ سُوٓءَۢا بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [الأنعام ٥٤].

فقد أخبر -سبحانه- أن له نفسا، وأنه كتب على نفسه الرحمة، ونص الله على ذلك فى آية أخرى ﴿قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قُل لِّلَّهِۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۚ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾[الأنعام ١٢].

وقد فسر الرسول شيئا من هذه الكتابة، ففى الحديث الذى يرويه أبو هريرة عن رسول الله قال: (لما قضى الله الخلق كتب كتابا، فهو عنده فوق العرش: إن رحمتى تسبق غضبى).

(صحيح مسلم ٢٧٥١)

وإثبات النفس لله منهج الرسل من قبل، فهذا عيسى يقول لرب العزة: ﴿تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ﴾ [المائدة ١١٦]، وقال الله لرسوله موسى: ﴿ثُمَّ جِئۡتَ عَلَىٰ قَدَرٖ يَٰمُوسَىٰ ٤٠ وَٱصۡطَنَعۡتُكَ لِنَفۡسِي﴾ [طه ٤٠-٤١]

والله يذكر عباده الذين يذكرونه فى أنفسهم، فقد روى البخارى ومسلم فى صحيحيهما عن أبى هريرة أن رسول الله قال: (يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدى بى، وأنا معه إذا ذكرنى، فإن ذكرنى فى نفسه، ذكرته فى نفسى، وإن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منهم).

(صحيح البخارى ٧٤٠٥)

وذكر الله يُرضى نفس ربنا تبارك وتعالى، ففى حديث مسلم عن ابن عباس عن جويرية: أن النبى خرج من عندها بكرة حين صلى الصبح، وهى فى مسجدها، ثم رجع بعد أن أضحى، وهى جالسة، فقال: (مازلت على الحال التى فارقتك عليها ؟). قالت: نعم.

قال النبى: (لقد قلت بعدك أربع كلمات، ثلاث مرات، لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن: سبحان الله وبحمده، عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته). (رواه مسلم ٢٧٢٦).

(العقيدة فى ضوء الكتاب والسنة)

وجه ربنا سبحانه

"لله -سبحانه- وجه لا يشبه وجوه المخلوقين، نصدق بذلك ونؤمن به؛ لأن الله أخبرنا بذلك فى كتابه، ونص عليه الرسول فى أحاديثه.

قال تعالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن ٢٧]، يقول ابن جرير الطبرى عند تفسيره لهذه الآية: ﴿ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ من نعت الوجه، فلذلك رفع (ذو). فذُكر الوجه مضموما فى هذا الموضع مرفوعا، لوصف وجه الله بأنه ذو الجلال والإكرام، فلو كان قوله ﴿ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ مردودا إلى ذكر الرب فى هذا الموضع لكانت القراءة ذى الجلال والإكرام مخفوضا".

(من كتاب العقيدة فى ضوء الكتاب والسنة -بتصرف يسير-)

إذن يا صديقى بعد أن أنعم الله علينا بمعرفة أن لله وجه، وهذا الوجه له صفة الجلال والإكرام فدعنا من الآن أن ننوى أى عمل صالح نعمله من قول أو فعل بأن نبتغى به وجهه سبحانه وتعالى تأمل..

﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسان: ٩].

"[عن حذيفة بن اليمان:] مَن قال: لا إلهَ إلّا اللهُ ابْتغاءَ وجْهِ اللهِ خُتِمَ لهُ بِها دخلَ الجنةَ، ومَن صامَ يوماً ابتغاءَ وجهِ اللهِ خُتِمَ لهُ بِها دخلَ الجنةَ،

ومَن تصدَّقَ بصدقةٍ ابتغاءَ وجْهِ اللهِ خُتِمَ لهُ بها دخلَ الجنةَ .."

(أحكام الجنائز ٥٨ • إسناده صحيح)

دعنا نبحر أكثر بأن نتفكَّر فى معنى الاستعاذة بالله، تأمل: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ﴾ أي اعتصم بحولك وقوتك متبرئا من حولي وقوته.

والآن دعنا نستعيذ الله بوجهه سبحانه وتعالى كما كان يفعل رسول الله محمد..

"[عن جابر بن عبد الله]: لَمّا نَزَلَتْ هذِه الآيَةُ: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾، قالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: أعُوذُ بوَجْهِكَ، قالَ: ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾، قالَ: أعُوذُ بوَجْهِكَ ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ قالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: "هذا أهْوَنُ - أوْ هذا أيْسَرُ -.."

(صحيح البخاري ٤٦٢٨)

دعنا نعطى من يسألنا بوجه الله..

"[عن عبد الله بن عباس:] مَن استعاذَ باللهِ فأَعِيذوه، ومَن سأَلَكم بوجهِ اللهِ فأَعطوه. وفي لفظٍ: مَن سألَكم باللهِ.."

(صحيح أبي داود ٥١٠٨)

دعنا نطمع فى رؤية وجه ربنا وأن يرزقنا بلذة النظر إلى وجهه الكريم وهو راضى عنا سبحانه وتعالى، فلنردد سويا دعاء سيدنا محمد..

"صلَّى عمَّارُ بنُ ياسرٍ بالقومِ صلاةً أخفَّها ، فَكأنَّهم أنْكروها ! فقالَ : ألم أُتمَّ الرُّكوعَ والسُّجودَ ؟ قالوا : بلى ، قالَ أمَّا أنِّي دعوتُ فيها بدعاءٍ كانَ النَّبيُّ صلَّى اللَّهُ عليْهِ وسلَّمَ يدعو بِهِ اللَّهمَّ بِعلمِكَ الغيبَ وقدرتِكَ على الخلقِ أحيني ما علمتَ الحياةَ خيرًا لي وتوفَّني إذا علمتَ الوفاةَ خيرًا لي وأسألُكَ خشيتَكَ في الغيبِ والشَّهادةِ وَكلمةَ الإخلاصِ في الرِّضا والغضبِ وأسألُكَ نعيمًا لاَ ينفدُ وقرَّةَ عينٍ لاَ تنقطعُ وأسألُكَ الرِّضاءَ بالقضاءِ وبردَ العيشِ بعدَ الموتِ ولذَّةَ النَّظرِ إلى وجْهِكَ والشَّوقَ إلى لقائِكَ وأعوذُ بِكَ من ضرَّاءٍ مُضرَّةٍ وفتنةٍ مضلَّةٍ اللَّهمَّ زيِّنَّا بزينةِ الإيمانِ واجعَلنا هداةً مُهتدين".

(قيس بن عباد أو عبادة • صحيح النسائي ١٣٠٥)

"وقد فسر النبى الزيادة المذكورة فى قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ﴾ [يونس: ٢٦] بأنها النظر إلى وجه ربنا عز وجل".

(الدكتور عمر سليمان الأشقر رحمه الله)

تأمل معنى هذا الدعاء بقلبك: اللهم إنى أعوذ بوجهك الكريم، وبكلماتك التامات -ومَعْناها: أعتَصِمُ وأحْتَمي بكَلِماتِ اللهِ الكامِلةِ الَّتي لا يَدخُلُها نَقصٌ ولا عَيبٌ كما يَدخُلُ كَلامَ البَشَرِ، فهي النّافعاتُ الشّافياتُ بإذنِ اللهِ. وكلماتُ اللهِ قيلَ: هي أسماؤُه وصِفاتُه. وقيلَ: هي القُرآنُ. وقيلَ: هي جَميعُ ما أنزَلَه على أنبيائِه- من شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها.

حجاب وجهه تبارك وتعالى

"**[عن أبي موسى الأشعري]**: إنّ اللهَ تعالى: لا ينامُ، ولا ينبَغِي لهُ أن ينامَ، يخْفِضُ القِسْطَ ويَرْفَعُهُ، ويُرفَعُ إليهِ عمَلُ الليلِ قَبْلَ عملِ النهارِ، وعملُ النهارِ قبلَ عملِ الليلِ، حِجابُهُ النورُ-وفى رواية أبى بكر: النار-، لو كَشَفَهُ لأحْرَقَتْ سُبُحاتُ وجْهِهِ ما انتَهى إليهِ بَصَرُهُ من خلقِهِ".

(صحيح الجامع ١٨٦٠)

"وهذا التردد من الراوى فى لفظ النور والنار لا يضر، فإن مثل هذه النار الصافية التى كلم الله بها موسى يقال لها: نور ونار كما سمى الله نار المصباح نورا، بخلاف النار المظلمة كنار جهنم فتلك لا تسمى نورا.

وهذه الحجب تحجب العباد عن الإدراك، كما قد يحجب الغمام والسقوف عنهم الشمس والقمر، فإذا زالت تجلت الشمس والقمر، وليس المراد أنها تحجب الله عن الرؤية، فهذا لا يقوله مسلم، فإن الله لا يخفى عليه شئ فى السماء ولا فى الأرض، ولكن يحجب أنواره إلى مخلوقاته، كما قال: لو كَشَفَهُ لأحْرَقَتْ سُبُحاتُ وجْهِهِ ما انتَهى إليهِ بَصَرُهُ من خلقِهِ. فالبصر يدرك الخلق كلهم، وأما السبحات فهى محجوبة بحجابه النور أو النار".

(الدكتور عمر سليمان الأشقر رحمه الله)

لله سبحانه يدان

"لله -سبحانه وتعالى- يدان تليقان بجلاله وكماله، لا تشبهان شيئا من أيدى المخلوقين، تأمل..

﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]

﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ [ص: ٧٥]

وقد وردت أحاديث عديدة فيها تمجيد الرب -تبارك وتعالى- بذكر يديه، وأن الخير فيهما..

[عن أبي سعيد الخدري]: إنّ اللهَ تعالى يقولُ لأهلِ الجنَّةِ: يا أهلَ الجنَّةِ: فيقولونَ: لبَّيكَ ربَّنا وسعدَيْكَ! والخيرُ في يدَيْكَ، فيقولُ: هلْ رضيتُم ؟ فيقولونَ: وما لنا لا نرضى وقد أعطَيتَنا ما لَم تُعْطِ أحدًا مِن خلقِكَ فيقولُ: ألا أُعطيكُم أفضلَ من ذلكَ ؟ فيقولونَ: يا ربِّ وأيُّ شيءٍ أفضلُ من ذلكَ ؟ فيقولُ: أُحِلُّ عليكُم رِضواني، فلا أسخطُ عليكُم بعدَهُ أبدًا.

(صحيح الجامع ١٩١١)

وأنه سبحانه وتعالى يبسط يديه بالليل والنهار ليتوب العباد، تأمل..

[عن أبي موسى الأشعري]: إنّ اللهَ يَبْسُطُ يَدَهُ باللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهارِ، ويَبْسُطُ يَدَهُ بالنَّهارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ، حتّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِن مَغْرِبِها..

(صحيح مسلم)

والله لا يعجزه شئ، فإذا أراد شيئا خلقه بكلمة (كن)، فيكون كما أراد، إلا أنه خلق بيده أشياء مما يدل على تكريمها، ورفع منزلتها، وعناية الله بها، والمخلوقات التى خلقها الله بيده، وذكرها لنا فى كتابه أو وردت فى سنة رسوله هى:

أ- آدم..

﴿ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ ﴾

[ص ٧٥]

[عن أبي هريرة]: فقالَ موسى لآدمَ أنتَ الَّذي خلقَكَ اللهُ بيدِهِ ونفخَ فيكَ من روحِهِ..

(تخريج كتاب السنة ٥٩٧ • إسناده حسن)

ب- كتب التوراة بيده..

"احْتَجَّ آدَمُ وَمُوسى؛ فَقالَ له مُوسى: أَنْتَ آدَمُ الَّذي أَخْرَجَتْكَ خَطِيئَتُكَ مِنَ الجَنَّةِ ؟! فَقالَ له آدَمُ: أَنْتَ مُوسى الَّذي اصْطَفاكَ اللَّهُ بِرِسالاتِهِ وَبِكَلامِهِ، ثُمَّ تَلُومُنِي على أَمْرٍ قُدِّرَ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُخْلَقَ ؟! فَقالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

فَحَجَّ آدَمُ مُوسى، مَرَّتَيْنِ".

(أبو هريرة • أخرجه البخاري (٣٤٠٩)، ومسلم (٢٦٥٢)

(أخبَرَ النَّبيُّ ﷺ بكَثيرٍ مِن أُمورِ الغَيبِ ممّا علَّمَه اللهُ تعالى وأخبَرَه به؛ لِتَثبيتِ العَقيدةِ الصَّحيحةِ في النُّفوسِ.

وفي هذا الحديثِ يُخبِرُ النَّبيُّ ﷺ أنَّه تَحاجَّ آدَمُ ومُوسى عليهما السَّلامُ، فأتى كلٌّ منهما بحُجَّةٍ على ما يقولُ؛ وذلك عندَما الْتقَتْ أرواحُهما في السَّماءِ، فوقَعَ الحِجاجُ بيْنهما، ويَحتمِلُ أنَّ ذلك جَرى في حَياةِ مُوسى عليه السَّلامُ، حيث سَأَلَ اللهَ تعالى أنْ يُرِيَه آدَمَ عليه السَّلامُ، والأوْلى تَفويضُ كَيفيَّةِ ذلك إلى اللهِ سُبحانَه.

فقال مُوسى عليه السَّلامُ: «أنتَ آدمُ الَّذي أخرَجتْك خَطيئتُك ؟!» يُشيرُ إلى أكْلِه مِن الشَّجرةِ التي نُهِيَ عنها، فأُخرِجَ مِن الجنَّةِ، فَلامَه مُوسى عليه السَّلامُ أنَّه كان السَّببَ في الإخراجِ مِن الجنَّةِ الَّتي أسْكنَهُ اللهُ فيها، وإنَّما وَقَعَ اللَّوْمُ على المُصيبةِ التي أخْرَجَتْه وأخْرَجَت أولادَه مِن الجنَّةِ، لا على الذَّنبِ الَّذي هو الأكْلُ مِن الشَّجرةِ.

فقال له آدمُ عليه السَّلامُ: «أنتَ موسى الَّذي اصطَفاكَ اللهُ برِسالاتِه»، أي: اختارَك اللهُ سُبحانَه وفضَّلَك على النّاسِ بأنْ أعطاكَ أسفارَ التَّوراةِ وفيها قِصَّتي، وما حَدَثَ فيها، وكذا اختَصَّكَ اللهُ بتَكليمِه إيّاك، ثمَّ تَلُومني على أمْرٍ قُدِّرَ علَيَّ قبْلَ أنْ أُخلَقَ، وحَكَمَ اللهُ بأنَّ ذلك كائنٌ لا

مَحالةَ؛ لِعلمِه السّابقِ سُبحانَه، فهلْ يُمكِنُ أنْ يَصدُرَ منِّي خِلافُ عِلمِ اللهِ ؟! فكيف تَغفُلُ عن العِلمِ السّابقِ، وتَذكُرُ الكَسْبَ الَّذي هو السَّببُ، وتَنْسى الأصلَ الَّذي هو القَدَرُ، وأنت مِن المصطفَيْنَ الأخيارِ ؟! فقال رَسولُ اللهِ ﷺ: فحَجَّ -أي: غلَبَ- آدمُ موسى بالحُجَّةِ في دفْعِ اللَّومِ عن نفسه، قالها ﷺ مرَّتينِ.

ولم يَكُنْ آدَمُ عليه السَّلامُ مُحتجًّا على فِعلِ ما نُهِيَ عنه بالقدَرِ، بلْ هو احتِجاجٌ بالقَدَرِ على المصيبةِ النّاتجةِ مِن فِعْلِهِ، وهي الخروجُ مِن الجنَّةِ؛ فالقدَرُ يُحتَجُّ به على المصائِبِ لا على المعائبِ، وليس لأحدٍ أنْ يَحتَجَّ بالقَدَرِ على فِعلِ الذُّنوب والآثامِ؛ فإنَّ هذا لو كان مَقبولًا لاحتَجَّ كلُّ مَن أرادَ قتْلَ النُّفوسِ وأخْذَ الأموالِ، وسائرَ أنواعِ الفسادِ في الأرضِ؛ بالقَدَرِ.

وفي الحديثِ: المناظَرةُ في أُصولِ الدِّيانةِ، وإقامةُ الدَّليلِ على الصَّحيحِ منها.

وفيه: إثباتُ صِفةِ الكَلامِ للهِ تعالى، وهي على ما يَليقُ بكَمالِه). (مصدر شرح الحديث من الدُّرَر السَّنِية)

ج- كتب بيده كتابا موضوعا عنده..

[عن أبي هريرة]: لَمّا قَضى اللهُ الخَلْقَ كَتَبَ في كِتابِهِ فَهو عِنْدَهُ فَوْقَ العَرْشِ إنّ رَحْمَتي غَلَبَتْ غَضَبِي..

(صحيح البخاري ٣١٩٤)

د- غرس جنة عدن بيده..

[عن المغيرة بن شعبة]: سَأَلَ مُوسى رَبَّهُ، ما أدْنى أهْلِ الجَنَّةِ مَنزِلَةً، قالَ: هو رَجُلٌ يَجِيءُ بَعْدَ ما أُدْخِلَ أهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ، فيُقالُ له: ادْخُلِ الجَنَّةَ، فيَقولُ: أيْ رَبِّ، كيفَ وقدْ نَزَلَ النّاسُ مَنازِلَهُمْ، وأَخَذُوا أخَذاتِهِمْ، فيُقالُ له: أتَرْضى أنْ يَكونَ لكَ مِثْلُ مُلْكِ مَلِكٍ مِن مُلُوكِ الدُّنْيا ؟ فيَقولُ: رَضِيتُ رَبِّ، فيَقولُ: لكَ ذلكَ، ومِثْلُهُ ومِثْلُهُ ومِثْلُهُ، فقالَ في الخامِسَةِ: رَضِيتُ رَبِّ، فيَقولُ: هذا لكَ وعَشَرَةُ أمْثالِهِ، ولَكَ ما اشْتَهَتْ نَفْسُكَ، ولَذَّتْ عَيْنُكَ، فيَقولُ: رَضِيتُ رَبِّ، قالَ: رَبِّ، فأعْلاهُمْ مَنزِلَةً ؟ قالَ: أُولَئِكَ الَّذِينَ أرَدْتُ غَرَسْتُ كَرامَتَهُمْ بيَدِي، وخَتَمْتُ عليها، فَلَمْ تَرَ عَيْنٌ، ولَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ، ولَمْ يَخْطُرْ على قَلْبِ بَشَرٍ، قالَ: ومِصْداقُهُ في كِتابِ اللهِ: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ [السجدة: ١٧] الآيَةَ.

وفي رواية: إنّ مُوسى سَأَلَ اللهَ عن أخَسِّ أهْلِ الجَنَّةِ مِنها حَظًّا، وساقَ الحَدِيثَ بنَحْوِهِ.. (صحيح مسلم ١٨٩)، انتهى النقل".

(هذا الفصل من كتاب العقيدة فى ضوء الكتاب والسنة -بتصرف يسير-)

....

عظم يدى الرب سبحانه وتعالى

من الأدلة فى القرآن الكريم، قال الله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر ٦٧] "وفي الآية دليل على إثبات القبضة، واليمين، والطيِّ، لله كما يليق بجلاله وعظمته، من غير تكييف ولا تشبيه".

(التفسير الميسر)

ومن الأدلة على عظم يديه سبحانه وتعالى من السنة: "**[عن عبد الله بن عمر]**: يَطْوِي اللهُ السَّمَواتِ يَومَ القِيامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بيَدِهِ اليُمْنى، ثُمَّ يقولُ: أنا المَلِكُ، أيْنَ الجَبّارُونَ ؟ أيْنَ المُتَكَبِّرُونَ. ثُمَّ يَطْوِي الأرَضِينَ بشِمالِهِ، ثُمَّ يقولُ: أنا المَلِكُ أيْنَ الجَبّارُونَ ؟ أيْنَ المُتَكَبِّرُونَ ؟"

(صحيح مسلم ٢٧٨٨)

....

كلتا يديه سبحانه يمين

والله سبحانه وتعالى كلتا يديه يمين والدليل من السنة الصحيحة:

[عن عبد الله بن عمرو:] إنّ المقسِطين عند اللهِ يومَ القيامةِ على منابرَ من نورٍ عن يمينِ الرحمنِ، وكلتا يدَيه يمينٌ: الذين يعدِلون في حكمِهم، وأهليهم و ما ولُوا". **(صحيح الجامع ١٩٥٣)**

"وفي هذا الحديثِ يُبيِّن النَّبيُّ ﷺ أنَّ المُقْسِطِينَ، والمرادُ بهم الَّذين يَعمَلون بالعدْلِ والقسطِ في حُكمِهم وفيما تَقلَّدوه مِن خِلافةٍ وإمارةٍ، أو وِلايةِ يَتيمٍ، أو صَدَقةٍ، أو غيرِ ذلك، أو فيما يَلزَمُهم مِن حُقوقِ أهْلِيهم، أو مَن يَقومون بهِم ويَرعَونهم ويُقِيمون على شُؤونهم؛

هؤلاء المُقْسِطون العادِلون يَكونون عندَ اللهِ مُقرَّبين إليه ومُكرَّمين لَدَيْهِ، ومِن كَرامتِهم على اللهِ: أنَّهم يَجلِسون مُرتَفِعين على مَنابِرَ، وهي الأماكِنُ والمَقاعِدُ العالِيَةُ الغالِيَةُ قد خُلِقَتْ مِن نُورٍ،

ثمَّ بيَّن النَّبيُّ ﷺ أنَّ مَكانَهم ومَكانتَهم عاليةٌ عن يَمِينِ الرَّحْمَنِ، وكِلْتا يَدَيْهِ سُبحانَه يَمِينٌ، يعني: أنَّهما بصِفةِ الكمالِ لا نقْصَ في واحدةٍ منهما؛ لأنَّ

الشِّمالَ تَنقُصُ عن اليَمينِ في المَخْلوقِ لا الخالِقِ، ونُثبِتُ للهِ عزَّ وجلَّ اليدينِ كما يَلِيقُ بجلالِ اللهِ سُبحانه دونَ تَكييفٍ أو تَشبيهٍ أو تعطيلٍ.

وفي الحديثِ: فضلُ العَدْلِ في كلِّ مَن ولّاك اللهُ عليه.

وفيه: ثُبوتُ صِفَةِ اليَدَيْنِ لله عزَّ وجلَّ".

(مصدر شرح الحديث الدُّرَر السَّنِية)

....

أصابع الرحمن

لله -سبحانه- أصابع لا تشبه شيئا من أصابع المخلوقين، وهى تليق بكماله وجلاله سبحانه وتعالى، والدليل من السنة..

"[عن عبد الله بن مسعود:] جاءَ حَبْرٌ مِنَ الأحْبارِ إلى رَسولِ اللهِ ﷺ فَقالَ: يا مُحَمَّدُ إنّا نَجِدُ: أنّ اللهَ يَجْعَلُ السَّمواتِ على إصْبَعٍ والأرَضِينَ على إصْبَعٍ، والشَّجَرَ على إصْبَعٍ، والماءَ والثَّرى على إصْبَعٍ، وسائِرَ الخَلائِقِ على إصْبَعٍ، فيَقولُ أنا المَلِكُ، فَضَحِكَ النبيُّ ﷺ حتّى بَدَتْ نَواجِذُهُ تَصْدِيقًا لِقَوْلِ الحَبْرِ، ثُمَّ قَرَأَ رَسولُ اللهِ ﷺ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾".

(صحيح البخاري ٤٨١١)

"إنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّها بيْنَ إصْبَعَيْنِ مِن أَصابِعِ الرَّحْمَنِ، كَقَلْبٍ واحِدٍ، يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشاءُ، ثُمَّ قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ القُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنا على طاعَتِك".

(عبدالله بن عمرو • صحيح مسلم ٢٦٥٤)

ما ذكر فى القدم

"تَحاجَّتِ الجَنَّةُ والنَّارُ؛ فَقالتِ النَّارُ: أُوثِرْتُ بالمُتَكَبِّرِينَ والمُتَجَبِّرِينَ، وقالتِ الجَنَّةُ: ما لي لا يَدْخُلُنِي إلَّا ضُعَفاءُ النَّاسِ وسَقَطُهُمْ ؟ قالَ اللَّهُ تَبارَكَ وتَعالَى لِلْجَنَّةِ: أنْتِ رَحْمَتي، أرْحَمُ بكِ مَن أشاءُ مِن عِبادِي، وقالَ لِلنَّارِ: إنَّما أنْتِ عَذابِي، أُعَذِّبُ بكِ مَن أشاءُ مِن عِبادِي، ولِكُلِّ واحِدَةٍ منهما مِلْؤُها، فأمَّا النَّارُ فلا تَمْتَلِئُ حتَّى يَضَعَ رِجْلَهُ، فَتَقُولُ: قَطْ قَطْ، فَهُنالِكَ تَمْتَلِئُ ويُزْوَى بَعْضُها إلى بَعْضٍ، ولا يَظْلِمُ اللَّهُ عزَّ وجلَّ مِن خَلْقِهِ أحَدًا، وأَمَّا الجَنَّةُ فإنَّ اللَّهَ عزَّ وجلَّ يُنْشِئُ لها خَلْقًا".

(أبو هريرة • صحيح البخاري ٤٨٥٠)

"وفي هذا الحديثِ يُخبِرُ النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم أنَّ الجَنَّةَ والنَّارَ اخْتَصَمَتا عندَ خالقِهما سُبحانه وتعالَى في سُكَّانِ كُلٍّ منهما، وهذه المُحاجَّةُ جاريةٌ على التَّحقيقِ؛ فإنَّه تعالَى قادرٌ على أنْ يَجعَلَ كُلَّ واحدةٍ منهما مُميَّزةً مُخاطَبةً، فقالت النَّارُ: أُوثِرْتُ بالمتكبِّرين والمُتَجبِّرين، أي: اخْتُصِصْتُ بأهلِ الكِبر والتَّجبُّر، وقالت الجنَّةُ: «ما لي لا يَدخُلني إلَّا ضُعَفاءُ النَّاسِ وسَقَطُهم ؟» أي: السَّاقِطون مِن أَعيُنِ النَّاسِ لفقرِهم وضَعفِهم، فقال اللهُ تَبارَك وتعالَى للجنَّةِ: «أَنْتِ رَحْمَتِي، أَرْحَمُ بك مَن أَشاءُ مِن عِبادي، وقال

للنَّارِ: إنَّمَا أنتِ عَذابِي، أعذِّب بك مَن أَشاءُ مِن عِبادي»، ولكلّ واحدةٍ منهما ما تَمْتَلِئُ به من سُكَّانِها، ولكنْ بيْن السَّاكِنين تَفاوُتٌ عَظيمٌ؛ فأمَّا النارُ فلا تَمْتَلِئُ حتَّى يَضَعَ الجَبَّارُ رِجْلَه فيها فتَقُول: «قَطْ قَطْ»، أي: كَفَى كَفَى، فهُنا تَمتلِئُ ويُزْوَى بَعضُها إلى بعضٍ، أي: يَجْتَمِع ويَلْتَقِي بعضُها ببعضٍ على مَن فيها، ولا يَظلِمُ اللهُ عزَّ وجلَّ مِن خَلْقِه شيئًا.

وأمَّا الجنةُ فإنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ يُنشِئُ لها أناساً لم يَعْمَلوا خيرًا، فيُدخِلُهم إيَّاها، وهذا فضلٌ مِن اللهِ تعالَى، قيل: في هذا دَليلٌ على أنَّ أصْلَ دُخولِ الجنَّةِ ليس في مُقابَلَةِ عَمَلٍ".

(مصدر شرح الحديث الدُّرَر السَّنِية)

....

لله سبحانه ساق

يجب علينا أن نصدق بهذا ولا نكذبه، لأنه سبحانه قد أخبرنا بذلك: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [القلم: ٤٢].

"يوم القيامة يشتد الأمر ويصعب هوله، ويأتي الله تعالى لفصل القضاء بين الخلائق، فيكشف عن ساقه الكريمة التي لا يشبهها شيء، قال ﷺ: «يكشف ربُّنا عن ساقه، فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة، ويبقى مَن كان يسجد في الدنيا؛ رياء وسمعة، فيذهب ليسجد، فيعود ظهره طبقًا واحدًا» رواه البخاري ومسلم".

(التفسير الميسر)

....

أين الله؟

"أخبرنا سبحانه أنه فى السماء، مستو على عرشه ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ فَسَتَعۡلَمُونَ كَيۡفَ نَذِيرِ﴾ [الملك: ١٦-١٧]

وقد أخبر الرسول عن ربه أنه فى السماء..

[عن أبي سعيد الخدري:] ألا تأْمَنُونِي، وأنا أمينٌ في السَّماءِ ؟ يأتِيني خَبرُ السماءِ صَباحاً و مَساءً. **(صحيح الجامع ٢٦٤٥)**

وقد أرشد الرسول المريض أن يدعو لنفسه أو يدعو له أخوه بهذا الدعاء -وفيه النص على أنه تعالى فى السماء- [عن أبي الدرداء:] مَن اشتَكى منكم شَيئًا أو اشتكاه أخٌ له فليقُلْ: رَبُّنا اللهُ الَّذي في السَّماءِ تقدَّسَ اسمُكَ، أمرُكَ في السَّماءِ والأرضِ، كما رحمتُكَ في السَّماءِ فاجعَلْ رحمتَكَ في الأرضِ، اغفِرْ لنا حَوْبَنا وخطايانا، أنتَ رَبُّ الطَّيِّبينَ، أنزِلْ رحمةً مِن رحمتِكَ وشفاءً مِن شفائِكَ على هذا الوجَعِ، فيبرَأُ..

(سنن أبي داود ٣٨٩٢)

وليس المراد بأنه فى السماء أن جرم السماء تحويه -سبحانه وتعالى عن ذلك- بل المراد بالسماء العلو والفوقية، فقد وصف نفسه سبحانه بأنه الأعلى ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [الأعلى ١]، وبأنه العلى العظيم ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وأخبر تعالى أنه فوق عباده ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل ٥٠]، وفى تمجيد الرسول لربه فى دعائه يقول: "وأنت الظاهرُ فليس فوقك شيءٌ".

(مجموع الفتاوى ٦/ ٢٠٨ • صحيح)

ولا يمكن لمسلم يفقه عقيدته حق الفقه أن يظن أن الله فى السماء بمعنى أن السماء تحويه، وأنه فى جرم السماء، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، كيف والسماوات ليس بشئ بالنسبة إليه سبحانه ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر ٦٧]، ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾ [الأنبياء ١٠٤].

على أن علوه سبحانه وتعالى لا ينافى قربه؛ فهو قريب يجيب دعوة الداعى إذا دعاه، ويعلم سره ونجواه، ويعلم ما توسوس به النفوس، وهو أقرب إليه من حبل الوريد، وهو يعلم السر وأخفى، ويعلم ما يلج فى الأرض وما يخرج منها، وما ينزل من السماء وما يعرج فيها، وهو مع خلقه بعلمه وقدرته، لا تخفى عليه منهم خافية، فهو سبحانه القريب فى علوه، العلى فى دنوه، وهو الأول والآخر والظاهر والباطن".

(هذا الفصل من كتاب العقيدة فى ضوء الكتاب والسنة)

الله يضحك

ومن الأدلة على أن الله يضحك متى شاء، كيف شاء -فنحن نؤمن بذلك ونصدقه، ولا ندرى كيفيته، ولسنا مطالبين بأن ندرى- الأحاديث التالى ذكرها: "يضحكُ اللهُ إلى رَجلينِ يقتُلُ أحدُهما الآخَرُ كلاهما يدخلُ الجنَّةَ" (ابن تيمية (ت ٧٢٨)، العقيدة الأصفهانية ٦٨ • صحيح)

"أنَّ رَجُلًا أتَى النَّبيَّ ﷺ، فَبَعَثَ إلى نِسَائِهِ، فَقُلْنَ: ما معنَا إلَّا المَاءُ، فَقالَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ: مَن يَضُمُّ -أوْ يُضِيفُ- هذا ؟ فَقالَ رَجُلٌ مِنَ الأنْصَارِ: أنَا، فَانْطَلَقَ به إلى امْرَأَتِهِ، فَقالَ: أكْرِمِي ضَيْفَ رَسولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقالَتْ: ما عِنْدَنَا إلَّا قُوتُ صِبْيَانِي، فَقالَ: هَيِّئِي طَعَامَكِ، وأَصْبِحِي سِرَاجَكِ، ونَوِّمِي صِبْيَانَكِ إذَا أرَادُوا عَشَاءً، فَهَيَّأَتْ طَعَامَهَا، وأَصْبَحَتْ سِرَاجَهَا، ونَوَّمَتْ صِبْيَانَهَا، ثُمَّ قَامَتْ كَأنَّهَا تُصْلِحُ سِرَاجَهَا فأطْفَأَتْهُ، فَجَعَلَا يُرِيَانِهِ أنَّهُما يَأْكُلَانِ، فَبَاتَا طَاوِيَيْنِ، فَلَمَّا أصْبَحَ غَدَا إلى رَسولِ اللَّهِ ﷺ، فَقالَ: ضَحِكَ اللَّهُ اللَّيْلَةَ -أوْ عَجِبَ- مِن فَعَالِكُما. فأنْزَلَ اللَّهُ: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

(أبو هريرة • صحيح البخاري ٣٧٩٨)

(من كتاب العقيدة فى ضوء الكتاب والسنة -بتصرف يسير-)

والله يحب فاللهم اجعلنا ممن تحبهم يارب العالمين، ويكره ويبغض فاللهم لا تجعلنا ممن تكرههم وتبغضهم يارب العالمين، والحديث عن الصفات التى يحبها الله وتلك التى يكرهها سبحانه طويل ويحتاج لتأليف كتاب خاص به -لعل الله ينعم علىَّ بتأليفه فى المستقبل بإذن الله- ولا مجال لذكر تلك الصفات هنا، ولكن لمن أراد أن يستزيد فعليك بالدخول إلى تطبيق (الباحث القرآنى) وأدخل فى البحث كلمة (يحب) وستجد كل الآيات المذكور فيها تلك الكلمة وأغلبها ستجده إن الله يحب... فاستمتع ببحثك يا صديقى وارتوى وتعلم العلم لتعمل به.

....

حياته وقيوميته سبحانه

"وهو حى حياة أزلية ﴿ هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ [غافر: ٦٥] وحياته منافية لحياة الأحياء من الخلق فكلهم يموت ويفنى، ولا يبقى إلا الله سبحانه: ﴿ كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا فَانٖ ۝٢٦ وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ﴾ [الرحمن: ٢٦-٢٧]

والدليل من السنة: [عن عبد الله بن عباس] أعُوذُ بِعِزَّتِكَ، الذي لا إلَهَ إلّا أنْتَ الذي لا يَمُوتُ، والجِنُّ والإنْسُ يَمُوتُونَ..

(صحيح البخاري ٧٣٨٣)

ومن كان كذلك فهو من يستحق أن يُعتمد عليه ويُتوكل عليه ﴿ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ ﴾ [الفرقان: ٥٨].

وهو قيوم سبحانه، فهو قيوم بنفسه مقيم لغيره، وجميع المخلوقات مفتقرة إليه، ولا قوام لها بدونه: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ بِأَمۡرِهِۦۚ ﴾ [الروم ٢٥]

ومن تمام حياته وقيوميته سبحانه أنه لا ينام ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، والسِنة: أوائل النوم، والسِنة والنوم نقص يتنزه الخالق عنهما، تأمل الحديث..

[عن أبي موسى الأشعري]: "إنّ اللهَ تعالى: لا ينامُ، ولا ينبَغِي لهُ أن ينامَ، يخْفِضُ القِسْطَ ويَرْفَعُهُ، ويُرفَعُ إليهِ عمَلُ الليلِ قَبْلَ عملِ النهارِ، وعملُ النهارِ قبلَ عملِ الليلِ، حِجابُهُ النورُ، لو كَشَفَهُ لأحْرَقَتْ سُبُحاتُ وجْهِهِ ما انتَهى إليهِ بَصَرُهُ من خلقِهِ".

(صحيح الجامع ١٨٦٠).

(هذا الفصل من كتاب العقيدة في ضوء الكتاب والسنة -بتصرف يسير-)

....

استراحة قلب

كأنى ألهث بقلبى طمعًا فى المزيد، فما حال قلبك؟

إذا كنت مثل حالى فأنت تحتاج إلى الراحة من صفحات هذا الكتاب، تحتاج لأن تستنشق بقلبك نسيم الهواء لتنظم ما بداخلك من معلومات قد حصلنا عليها عمن خلقنا فى تلك السطور الفائتة، وأذكر لك تلك النتبة – عقيدة الإيمان بالله فى قلبك– فهى كما تحتاج إلى الماء –العلم به–، فهى تحتاج أيضا إلى الوقت فهو سنة الله فى كونه، فاترك لقلبك اليسير من الوقت.

والله إنى لأرانى أفتقدك منذ الآن، ولكن لابد لاستراحتنا من وجود لننظم صفوف يقيننا بالله وما أكرمنا الله سويا بالعلم به عن ذاته ونفسه وصفاته وحياته وقيوميته وهو الذى ليس كمثله شئ سبحانه وتعالى.

فضلا اترك هذا الكتاب وانشغل قليلا بالنظر إلى السماء، انظر إليها بعين المعانى التى أكرمنا الله بتحصيلها سويا، استمع إلى دقات قلبك المنتظمة فى اتساق وتوازن لا يختل مع باقى جسدك، تأمل خلق الله فى سمائه وأرضه، تأمل وتفكر ولا تنس أن تتدبر آياته مستعينا بتطبيق الباحث القرآنى لتستزيد من فضل الله فى العلم بكلامه سبحانه وتعالى، تأمل واستزد فى كل

لحظة من قبسات نور اليقين بعظمة الخالق الصانع لهذا الكون والمدبر لكل ما فيه، سبحانه الحى القيوم.

استبدل ما كنت تنظر إليه من قبل من محرمات ولهو بالنظر إلى نعم الله فى السماوات والأرض، زد من إيمانك بالله بقراءة كتابه والنظر فى آياته واسأل قلبك مع كل معنى يلمس قلبك، اسأله مع كل آية تقرأها، اسأله بالله عليك يا قلبى أى من آيات الله فى خلقه أو فى كتابه زادتك إيمانا اليوم ؟

ليكون حالنا كحال عباده الذين ذكرهم فى هذه الآية:

﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ فَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمۡ زَادَتۡهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنٗاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَهُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ﴾ [التوبة ١٢٤]

"يقول تعالى: مبينا حال المنافقين، وحال المؤمنين عند نزول القرآن، وتفاوت ما بين الفريقين، فقال: ﴿وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ﴾ فيها الأمر، والنهي، والخبر عن نفسه الكريمة، وعن الأمور الغائبة، والحث على الجهاد.

﴿فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا﴾ أي: حصل الاستفهام، لمن حصل له الإيمان بها من الطائفتين.

قال تعالى - مبينا الحال الواقعة - : ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ بالعلم بها، وفهمها، واعتقادها، والعمل بها، والرغبة في فعل الخير، والانكفاف عن فعل الشر.

﴿وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ أي: يبشر بعضهم بعضا بما من الله عليهم من آياته، والتوفيق لفهمها والعمل بها. وهذا دال على انشراح صدورهم لآيات الله، وطمأنينة قلوبهم، وسرعة انقيادهم لما تحثهم عليه".

(تفسيرالسعدى)

أراك فى وقت آخر يا صديقى..

....

ارْضَنا لَك رَبًّا نرضاك لنا عبدا

"قَوْلُهُ تَعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ قالَ ابْنُ زَيْدٍ: نَخْتَبِرُكم بِما تُحِبُّونَ لِنَنْظُرَ كَيْفَ شُكْرُكم، وبِما تَكْرَهُونَ لِنَنْظُرَ كَيْفَ صَبْرُكم".

(تفسير ابن الجوزى)

فى رحلتنا فى جنة الله فى أرضه، لابد لنا من انتكاسات وغفوات وسقطات وبلايا نمر بها فهذه سنة الله فى خلقه، كتب علينا أن نبتلى تارة باليسر وأخرى بالعسر، لتظهر معادن قلوب عُبَّادِه سبحانه وتعالى، من لا تغرنهم الحياة الدنيا، من يفرحون بقدر لا ينسيهم تربص أعداءهم بقلوبهم من دنيا تموج بفتنها تتعاقب علينا ليلا ونهارا، ومن شيطان يريد أن يدخلنا معه النار والعياذ بالله، ومن نفس ضعيفة لا تملك نفسها عن شهوات الدنيا، جهولة بما يضرها، فهى تحتاج منا دائما إلى المراقبة والمحاسبة حتى لا تميل بنا إلى ما حرَّم الله والعياذ بالله.

عُبَّادِه سبحانه وتعالى، من يحزنون بقدر لا ينسيهم أنهم فى دار اختبار وأن الدار الآخرة هى الدار الخالدة إلى الأبد، وأن انتظار الفرج من الله فهو عبادة يؤجرون عليها، وأن ما هم فيه من هم أو كرب هو فى حقيقته خير لهم بتكفير ذنوب لهم قد فعلوها ولا سبيل لتكفيرها ومحوها عنهم إلا بذاك الهم

والحزن، تأمل..

﴿ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ [الحديد ٢٣]

"يَعْنِي: إنَّكم إذا عَلِمْتُمْ أنَّ كُلَّ شَيْءٍ مُقَدَّرٌ، مَكْتُوبٌ عِنْدَ اللهِ، قَلَّ أساكم عَلى الفائِتِ، وفَرَحُكم عَلى الآتِي، لِأنَّ مَن عَلِمَ أنَّ ما عِنْدَهُ مَفْقُودٌ لا مَحالَةَ، لَمْ يَتَفاقَمْ جَزَعُهُ عِنْدَ فَقْدِهِ، لِأنَّهُ وطَّنَ نَفْسَهُ عَلى ذَلِكَ، وكَذَلِكَ مَن عَلِمَ أنَّ بَعْضَ الخَيْرِ واصِلٌ إلَيْهِ، وأنَّ وُصُولَهُ لا يَفُوتُهُ بِحالٍ، لَمْ يَعْظُمْ فَرَحُهُ عِنْدَ نَيْلِهِ، ولَيْسَ أحَدٌ إلّا وهو يَفْرَحُ عِنْدَ مَنفَعَةٍ تُصِيبُهُ، ويَحْزَنُ عِنْدَ مَضَرَّةٍ تَنْزِلُ بِهِ، ولَكِنْ يَنْبَغِي أنْ يَكُونَ الفَرَحُ شُكْرًا، والحُزْنُ صَبْرًا، وإنَّما يُذَمُّ مِنَ الحُزْنِ الجَزَعُ المُنافِي لِلصَّبْرِ، ومِنَ الفَرَحِ الأشَرُ المُطْغِي المُلْهِي عَنِ الشُّكْرِ".

(تفسير النسفى)

تأمل بقلبك ما فتح الله على شيخنا ابن القيم من شرح وافى وشافى لكل قلب أتعبته ظنونه اليائسة من فرج الله، لكل قلب قد قاربت سفن يأسه أن ترسو بموانيه، لكل قلب أصبح أسيرا فى قبضة خوفه من أن يناله الفقر، ستجد يا صديقى فى السطور القادمة ما تثبت به فؤادك باضطراباته وتخوفاته وقلقه، ستجد فيها الجواب لثورة الأسئلة التى تصرخ بداخل أنفسنا مثيرة توتر فى دقات القلب، واليأس فى ظنونه بالله، تلك الأسئلة التى أرهقتنا بندواتها داخلنا ولو لم تنطقها ألسنتنا، ألا وهى (لماذا يحدث كل هذا

لى ؟! ولماذا قُدِر علىَّ رزقى وأنا أطيع الله وغيرى يتنعم برغم فجوره ومجاهرته بذنوبه ليلا ونهارا ؟! لماذا أمرضنى الله بهذا المرض وقد كنت أطيعه بجوارحى وغيرى معافى يستخدم جوارحه فى معصية الله ؟! لماذا يعتصر قلبى ذلك الحزن الغير مفهوم ولا مبرر ولا وجود لأسبابه ؟! لماذا لا أنجب وقد دعوت وتصدقت ليلا ونهارا بنية أن يستجيب الله لدعائى ؟! لماذا لا يكون ولدى صالحا مطيعا لى ومهذبا كحال ابن فلان ؟! لماذا، لماذا ؟!).

لكل نفس قد ضاقت عليها الأرض بما رحبت، إليك هذه السطور..

"قوله تعالى ﴿ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾

قال ابن عباس - رضي الله عنهما - بالشدة والرخاء والصحة والسقم والغنى والفقر والحلال والحرام وكلها بلاء.

وقال ابن يزيد نبلوكم بما تحبون وما تكرهون لننظر كيف صبركم وشكركم فيما تحبون وما تكرهون.

وقال الكلبى بالشر بالفقر والبلاء والخير بالمال والولد فأخبر سبحانه أن الغنى والفقر مطيتا الابتلاء والامتحان.

ومن عَلامات السَّعادَة والفلاح أن العَبْد كلما زيد في علمه زيد في تواضعه ورَحمته، وكلما زيد عمله زيد في خَوفه وحذره، وكلما زيد في عمره نقص من حرصه، وكلما زيد في ماله زيد في سخائه وبذله وكلما زيد في قدره وجاهه زيد في قربه من النّاس وقَضاء حوائجهم والتواضع لَهُم.

وعلامات الشقاوة أنه كلما زيد في علمه زيد في كبره وتيهه، وكلما زيد في عمله زيد في فخره واحتقاره للنّاس وحسن ظَنّه بِنَفسِهِ، وكلما زيد في عمره زيد في حرصه، وكلما زيد في ماله زيد في بخله وإمساكه، وكلما زيد في قدره وجاهه زيد في كبره وتيهه.

وَهَذِه الأُمُور ابتلاء من الله وامتحان يَبْتَلِي بها عباده، فيسعد بها أقوام، ويشقى بها أقوام، وكَذَلِكَ الكرامات امتحان وابتلاء كالملك والسُّلْطان والمال قالَ تَعالى عَن نبيه سُلَيْمان لما رأى عرش بلقيس عِنْده ﴿هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾

فالنعم ابتلاء من الله وامتحان يظْهر بها شكر الشكُور وكفر الكفور كَما أن المحن بلوى مِنهُ سُبْحانَهُ فَهو يَبْتَلِي بِالنعَم كَما يَبْتَلِي بالمصائب قالَ تَعالى ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ﴾

أي لَيْسَ كل من وسعت عَلَيْهِ وأكرمته ونعمته يكون ذَلِك إكْراما مني لَهُ، ولا كل من ضيّقت عَلَيْهِ رزقه وابتليته يكون ذَلِك إهانة مني لَهُ.

ومن كَلام الشَّيْخ علي:

قيل لي في نوم كاليقظة، أو يقظة كالنوم: لا تبدِ فاقة إلى غَيْرِي فأضاعفها عَلَيْك مُكافَأة لخروجك عَن حدك في عبوديتك.

ابتليتك بالفقر لتصير ذَهَبا خالِصا، فَلا تزيفن بعد السبك.

حكمت لك بالفقر، ولنفسي بالغنى فَإن وصلتها بِي وصلتك بالغنى، وإن وصلتها بغيري حسمت عَنْك مواد معونتي طردا لَك عَن بابي.

لا تركن إلى شَيْء دُوننا فإنه وبال عَلَيْك وقاتلٌ لَك، إن ركنت إلى العَمَل رددناه عَلَيْك، وإن ركنت إلى المعرفَة نكرناها عَلَيْك، وإن ركنت إلى الوجد استدرجناك فِيهِ، وإن ركنت إلى العلم أوقفناك مَعَه، وإن ركنت إلى المخلوقين وكلناك إلَيْهِم، ارْضَنا لَك رَبًّا نرضاك لنا عبدا".

(تفسير ابن القيم)

أرجو من الله سبحانه وتعالى أن تكون قد هدأت أمواج الفكر وظنون السوء بقضاء الله وقدره فى قلبك، وأن تكون رضيت بالله ربا فى قدره خيره وشره فرضاك عبدا وأرضاك بما يقر به عينك وبما يدخل به السكينة على قلبك، وبما يصلح لك به بالك، ولمن مازال فى شك وريبة، أقول له ناصحا قلبه كن مؤمنا يا صديقى كالسنبلة ؟! تأمل..

[عن أبي هريرة:] "مَثَلُ المُؤْمِنِ كَمَثَلِ الخامَةِ مِنَ الزَّرْعِ، مِن حَيْثُ أتَتْها الرِّيحُ كَفَأَتْها، فإذا اعْتَدَلَتْ تَكَفَّأُ بالبَلاءِ، والفاجِرُ كالأرْزَةِ، صَمّاءَ مُعْتَدِلَةً، حتّى يَقْصِمَها اللهُ إذا شاءَ.." **(صحيح البخاري ٥٦٤٤)**

"ويَشتمِلُ هذا الحديثُ على تَشبيهٍ رائعٍ مِن النَّبيِّ ﷺ؛ فقدْ أُوتِيَ جَوامعَ الكَلِمِ، فشبَّهَ المؤمنَ بالخامَةِ مِن الزَّرعِ، وهي النَّبْتةُ الغَضَّةُ الطَّريَّةُ منه، تُميلُها الرِّيحُ مرَّةً وتَعدِلُها أُخرى، وشبَّهَ المنافقَ بالأَرْزَةِ، وهو شَجرٌ مَعروفٌ،

يُقالُ له: الأَرْزَنُ، يُشبِهُ شَجرَ الصَّنَوْبَرِ، وقيل: هو شجر الصَّنَوْبَرِ، وقيل: هو ذَكَرُ الصَّنَوْبَرِ، وهو الشَّجَرُ الذي يُعمَّرُ طَويلًا، وهي صُلبةٌ صَمّاءُ ثابِتةٌ، ويكون انْجِعافُها - أي: انقِلاعُها - مرَّةً واحدةً.

ووجْهُ التَّشبيهِ أنَّ المؤمن مِن حيث إنْ جاءه أمْرُ اللهِ انْصاعَ له ورضِيَ به؛ فإنْ جاءه خيْرٌ فرِحَ به وشَكَر، وإنْ وقَع به مَكروهٌ صبَر ورَجا فيه الأجرَ، فإذا اندفَع عنه اعتدَل شاكرًا، والنّاسُ في ذلك على أقسامٍ؛ منهم مَن يَنظُرُ إلى أجْرِ البلاء فيَهُونُ عليه البلاءُ، ومنهم مَن يرى أنَّ هذا مِن تَصرُّفِ المالك في مِلكِه، فيُسلِّمُ ولا يَعترِضُ.

ووَجْهُ تَشبيهِ المنافقِ بالأرْزةِ: أنَّ المنافقَ لا يَتفقَّدُه اللهُ باختبارِه، بل يَجعَلُ له التَّيسيرَ في الدُّنيا؛ لِيَتعسَّرَ عليه الحالُ في المعادِ، حتّى إذا أراد اللهُ إهْلاكَه قصَمَهُ، فيكونُ مَوتُه أشَدَّ عَذابًا عليه وأكثَرَ ألَمًا في خُروجِ نفْسِه.

وفي الحَديثِ: بيانُ أنَّ سُنَّةَ الابتلاءِ ماضِيةٌ في العِبادِ، وأنَّ الابتلاءَ للمُؤمِنِ إنما هو رَحمةٌ مِن اللهِ عزَّ وجَلَّ ولُطفٌ به".

(مصدر شرح الحديث الدُّرَر السَّنِية)

دام قلبك بخير الله وأمانه وسكينته..

....

فأثابكم غمًا

﴿ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ ﴾ "لِتَتَمَرَّنُوا عَلى تَجَرُّعِ الغُمُوم، فَلا تَحْزَنُوا فِيما بَعْدُ عَلى فائِتٍ مِنَ المَنافِعِ".

(تفسير النسفى)

أحببت أن أطيل فى سطور الفصل السابق عن نقطة الحزن، تحديدا عن الحزن الغير مبرر، الذى يأتى بلا سبب، ولكنى وجدت من ربى تعدد فى مكتبتى الصغيرة من كتب تتكلم عن تلك النقطة فأردت أن أجعله فصلا بذاته طمعا أن يفتح الله علينا من نقول لعلها تشفى ما فى صدورنا من هموم أطبقت بفكاكها علينا فلا نكاد نخرج من جحر الهم حتى سرعان ما نقع بضعفنا ونسياننا فى جحر من هم آخر وحزن قديم ولكن فى ثوب جديد.

إنه الحزن الذى نبتلع معه أصواتنا فلا نستطيع حتى أن نبوح به، لأننا لا نعرف له مصدر، فقد أتانا فجأة ومن دون أسباب، فتراه يقضى على صوت أنفاسنا فلا نسمع سوا صوت همساتنا الكئيبة.

أتحدث هنا يا صديقى عن الحزن الغير مبرر، قد عانيت منه لسنوات عديدة، سنوات كنت فيها هاربا منه وبقوة ولكن دون جدوى، ما أن يخلصنى منه وأشعر أنى تحررت من أسره يأتينى من جديد وبشكل أقوى، كنت لا

أسأل نفسى عن سببه، إذا أتانى فقد حانت ساعة الهروب من نفسى إلى الدنيا، هروب قد أضاع بسنوات من عمرى فأحببت ألا يضيع عمرك أنت أيضا وأنت تحاول الهروب من أحزانك، كفاك هروبا يا صديقى وتقبل شعورك بأن تحزن بسبب وبدون سبب أكثر، تقبل ذلك الهم الذى يجثم على صدرك فلا تكاد تتنفس بسببه:

"مشاعر الخوف والحذر والحيطة، وما يمكننا تسميته بالقلق -الحزن- المرضى المخيف، هى مشاعر عادية وصحية، فإذا لم تعانى من أى قلق على الإطلاق، فستفشل فى مراقبة الاتجاه الذى تتحرك فيه أو مدى جودة حالتك النفسية، وستجد نفسك فى ورطة خلال وقت قريب، بل وربما تقتل نفسك".

(دكتور ألبرت إليس)

وما وفاة نجوم الشهرة والفن منتحرين إلا أبرز دليل على أن امتلاكك الدنيا بشهواتها المتنوعة ليس دليلا على أنك معصوم من ابتلاء الهم والحزن والكرب، فداليدا قد انتحرت وكتبت فى رسالتها: سامحونى الحياة لم تعد تحتمل ؟!، وروبن وليامز الذى انتحر مرة ففشل وفى ذات الوقت حاول مرة أخرى ونجح، وإلفيس بريسلى الذى انتحر من الاكتئاب بجرعة مخدر زائدة، أفهمت يا صديقى، تقبل شعورك بأن تحزن، أنت مخلوق وسيدك كتب عليك البكاء عندما تحزن كما كتب عليك الضحك عندما تفرح.

"لقد خلق الله تعالى كل شئ فقال جل شأنه: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴾ [الزمر ٦٢]، والحزن شئ خلقه الله تعالى، وهو سبحانه عليه وكيل، فلا يتحرك الحزن إلا بإذنه، ولا يصيب أحد إلا بأمره، فإذا أصاب الله تعالى بالحزن إنسان بكى حزنا، وإن صرفه عنه ضحك فرحا، لذلك قال تعالى: ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضۡحَكَ وَأَبۡكَىٰ ﴾ [النجم ٤٣].

كانت جدتى تقول عندما ترى طفل يضحك: سبحان من أضحكك، ولو شاء أبكاك.

لقد جعلتنى جدتى أنتبه لنعمة الضحك، وأتأمل الصغار فى الضحك والبكاء، ولقد اكتشفت أنها آية من آيات الله تعالى يغفل عنها كثير من الناس، فاطلب السعادة والضحك ممن يملكه، واطلب ذهاب الحزن ممن يملكه.

وتذكَّر أن أحزان الدنيا تجعلك تشتاق لأفراح الآخرة، فأهل الجنة يشكرون الله تعالى لأنه أدخلهم الجنة -بكرمه وفضله- وأذهب عنهم كل أنواع الحزن، فالله تعالى هو من أنجاهم من أحزان الدنيا والآخرة، وأسكنهم الجنة حيث السعادة الدائمة، قال تعالى: ﴿ وَيُنَجِّي ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ بِمَفَازَتِهِمۡ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾ [الزمر ٦١].

وروى عن الإمام مسلم [عن أبي هريرة:] يُنادِي مُنادٍ: إنّ لَكُمْ أنْ تَصِحُّوا فلا تَسْقَمُوا أبَدًا، وإنّ لَكُمْ أنْ تَحْيَوْا فلا تَمُوتُوا أبَدًا، وإنّ لَكُمْ أنْ تَشِبُّوا فلا

تَهْرَمُوا أبَدًا، وإنّ لَكُمْ أنْ تَنْعَمُوا فلا تَبْأَسُوا أبَدًا فَذلكَ قَوْلُهُ تعالى: ﴿وَنُودُوٓاْ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٤٣] (صحيح مسلم ٢٨٣٧)، ففى الجنة لا يمرض أحد، ولا يموت أحد، ولا يحزن أحد".

(من كتاب علِّم ابنك كيف يسأل ربه لدكتور عبد الله عبد المعطى)

تقبل شعور الحزن يا صديقى ولكن لا تعتاده، أتفهمنى؟

أريدك أن تدرك أننا لازلنا على الأرض، نعم يدخلنا الله برحمته فى جنة أرضه حين نذكره كما ذكرنا، ولكن الابتلاء كما ذكرنا أيضا هو سنة الله فى خلقه، خلقنا لعبادته وليبتلينا أيضا.

تذكر أننا عبيده وعباده، فبيدك أن تسخط على قدره وتشكو القاصى والدانى عما تشعر به من حزن وعما أصابك، لتكون حينها من عبيده، سخطت فلك السخط منه أيضا.

وبيدك أيضا أن تتقبل حزنك وتتذكر أنك مثاب عليه فحتى ألم الشوكة له فى الميزان أجر، تتذكر ما فعلته من ذنوب قد حان موعد تكفيرها وأفضل أن يكفرها عنا برحمته فى الدنيا بذلك الحزن الذى يعتصرك، تتذكر أنه سبحانه أضحك وأبكى فكيف لن يكتب عليك البكاء وهو بيده أيضا، تتذكر أنه الله الذى لا معبود -إله- يستحق العبادة سواه فتتقبل قدره وترضى

فإذا رآك راضيا فلك منه الرضى، فأصبحت من عباده الصابرين وقت البلايا، الشاكرين وقت العطايا، فإذا وصلت بقلبك لتلك الدرجة من الإيمان بحكمته وبرحمته فرَّج همك وفك كربك، وأثابك على ما مررت به من حزن بأن أدخلك مرة أخرى متشوقا أكثر لجنة ذكره فى الأرض سبحانه وتعالى.

أُذكرك وأذكر نفسى بأن هذا الشوق، وتلك الفرحة التى شرحت صدرك فأصبحت وكأنك ملكت الدنيا لم تكن ستصل لهكذا شعور إذا لم تكن مررت بحزن قد اعتصر قلبك به ألما، فأبشر أيها المهموم.

وختاما لهذا الفصل أريدك أن لا تعتاد حزن، فهذا من سوء الأدب مع الله وسوء الظن به، انتظر الفرج واجعل انتظارك عبادة، وعوِّد نفسك على الدعاء فى اليسر والعسر، وقت شدة الابتلاء ادعى بفك كربك وذهاب حزنك كما فى دعاء رسول الله:"[عن أبي هريرة:] تَعَوَّذُوا باللهِ مِن جَهْدِ البَلاءِ، ودَرَكِ الشَّقاءِ، وسُوءِ القَضاءِ، وشَماتَةِ الأعْداءِ..

(صحيح البخاري ٦٦١٦)

"«جَهْدُ البَلاء»، وهو: أَقْصى ما يَبلُغُه الابتلاءُ، وهو الامتِحانُ؛ وذلك بأنْ يُصابَ حتّى يَتمنّى الموتَ، وقِيلَ: إنَّه الفَقْرُ مع كَثْرةِ العِيالِ. واستَعاذَ ﷺ أيضًا مِن «دَرَكِ الشَّقاءِ»، والدَّرَكُ هو الوُصولُ واللُّحوقُ، فكان ﷺ يَستعيذُ مِن أنْ يَلْحَقَه أو يَصِلَه الشَّقاءُ، أو أنْ يُدرِكَ هو الشَّقاءَ والتَّعَبَ والنَّصَبَ في الدُّنيا والآخِرَةِ.

واستَعاذ ﷺ أيضًا مِن «سُوءِ القَضاءِ»، وهو ما يَسُوءُ الإنسانَ ويُحزِنه مِن الأَقْضِيَةِ المقدَّرةِ عليه في الدِّينِ والدُّنيا، والبَدَنِ والمالِ والأهلِ، وقدْ يكونُ ذلك في الخاتِمةِ، والموصوفُ بالسُّوءِ هو المَقْضِيُّ به لا القضاءُ نفْسُه. وسببُ الاستِعاذةِ مِن سُوءِ القَضاءِ أنَّه لَمّا كان قَضاءُ اللهِ عزَّ وجلَّ وقدَرُه مَخفيًّا عَنِ الإنسانِ، لا يَعلَمُه إلّا وقْتَ وُقوعِه؛ لزِمَ الدُّعاءُ والالتِجاءُ إلى اللهِ فيما يَخافُه الإنسانُ ويَحذَرُ أنْ يَنزِلَ به، فإذا وُفِّقَ للدُّعاءِ واستجابَ اللهُ له دفَعَهُ اللهُ عنه.

واستَعاذَ ﷺ أيضًا مِن «شَماتةِ الأعداء»، والشَّماتَةُ: الفَرَحُ، أي: مِن فَرَحِ العَدُوِّ، وهو لا يَفْرَحُ إلّا لِمُصِيبَةٍ تَنزِلُ بِمَن يَكرَهُ".

(مصدر شرح الحديث الدُّرَر السَّنية)

أراك بقلب مطمئن بالله الحكيم، فشكر وقت العطايا، وصبر وقت البلايا.

....

الحزن الغير - مفهوم- مبرر

ولنا هنا نكتة -معلومة- أنت عندما يصيبك الحزن الغير مبرر، فأنت حينها تخلق مشاعر سلبية تجاه هذا الحزن، بمعنى أنك تحزن وتغضب ويصيبك الحنق بسبب إصابتك بذلك الحزن الغير مبرر، لتجد نفسك بالتبعية تبدأ فى ممارستك لعادتك بالهروب من ذلك الحزن بشتى الطرق، غير مبالى أكانت حلال أم حرام عافانا الله وإياك، لا يهمك أى شئ سوا أن تتخلص من شعورك بالحزن بسبب إصابتك بالحزن غير المبرر، أفهمت يا صديقى ؟! أوعيت ما تفعله بنفسك ؟!

كل ما عليك أن تفعله عندما يصيبك الحزن غير المبرر أن تسأل نفسك بوعى: لماذا من الواجب علىَّ أن لا أحزن وقد خلق الله البكاء والحزن وابتلانى بهم ليرى ماذا أنا بفاعل ؟ صدقا لماذا ((أوجبت على نفسك)) ألا تحزن - حزن لا يد لها فيه- على الإطلاق ؟! ولماذا أرفض أن أحزن -على الإطلاق- برغم أننى عبد ولى رب قد كتب علىَّ أن أُختبر بهذا الحزن الغير مبرر ؟!

إذا سألت نفسك بوعى هذه الأسئلة ستجد أنك بشكل واعى ستكون إجابتك عنها: حقا ما هذا الغباء!! هل أستطيع أن لا أحزن على الإطلاق حتى وإن كان حزنى غير مبرر!! أنا مخلوق وقد خلقنى الله مبتلى ليعلم أصادق

إيمانى به واستسلامى لحكمه وقضاؤه النافذ فى بابتلائى بهذا الحزن غير المبرر، أم كاذب أنا فى ذلك الإيمان فأكون ممن يعبدونه على حرف..

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ﴾ [الحج ١١]

"أي: ومن الناس من هو ضعيف الإيمان، لم يدخل الإيمان قلبه، ولم تخالطه بشاشته، بل دخل فيه، إما خوفا، وإما عادة على وجه لا يثبت عند المحن، فهو يربط إيمانه بدنياه، فإن عاش في صحة وسَعَة استمر على عبادته، ﴿وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ﴾ وإن حصل له ابتلاء بمكروه وشدة من حصول مكروه، أو زوال محبوب عزا شؤم ذلك إلى دينه، فرجع عنه كمن ينقلب على وجهه بعد استقامة".

(تفسير السعدى والتفسير الميسر - بتصرف -)

إذا أجبت بوعى عن الأسئلة السابقة ووعيت جوابك، وتأملت بقلبك تفسير الآية السابق، ستهدأ مشاعر غضبك وحنقك وسخطك بسبب إصابتك بحزنك غير المبرر.

"يرى البشر باستمرار أنهم يشعرون بقلق مرضى أو حزن غير مبرر، ويعرفون أن ذلك القلق دليل على النقص، ويقيسون مدى سوء هذا القلق وضخامة هذا الحزن، ويشعرون بمسئوليتهم عن توليده فى داخلهم، وينتقدون أنفسهم لأنهم قد جنوه على أنفسهم (بضعفهم) أو (بغبائهم)،

ومن ثم فهم غالبا ما يدفعون أنفسهم إلى القلق المرضى -الحزن- بشأن قلقهم المرضى -حزنهم-، وإلى الاكتئاب بشأن اكتئابهم، وإلى الشعور بالذنب تجاه إدمانهم، وإلى الإشفاق على ذاتهم بشأن اضطرابها العصابى!!"

(دكتور ألبرت إليس -بتصرف يسير-)

إذا وعيت بمنطقية ما قلناه فى السطور السابقة ستزول تلك المشاعر المبالغ فيها التى خلقتها بنفسك كردة فعل -اعتدت على القيام بها- تجاه حزنك غير المبرر، وستبقى مشاعر الحزن التى شعرت بها فى بداية الأمر، وهى مشاعر طبيعية، كلنا يصاب بها فى الدنيا فى أوقات من حياتنا، فهى مكتوبة على كل إنسان منا، بقدر قدَّره الله عز وجل، فهو سبحانه من خلقنا ويعلم وسعنا وطاقتنا، وما هو قدر تحملنا لأحزاننا، فقد أخبرنا سبحانه أنه: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ ﴾ [البقرة ٢٨٦]، وأخبرنا أيضا أن أحزانك ستكون على قدر أدواتك من صفات وهبها لك فى فطرتك أو سهَّل لك اكتسابها، ومن أسباب هيأها لك، تأمل: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ ﴾ [الطلاق ٧].

فلا تقلق يا صديقى، ولا تلقى للهم ولا للحزن بالا، ولا تقابله بمشاعر سلبية، ألزمت بها نفسك فوق طاقتها وفوق وسعها وتحملها، أنت الذى ضغطت على نفسك عندما اعتقدت أنك لا يجب أن تحزن!! وإذا حزنت فلابد أن تصاب بغضب وسخط من نفسك بسبب حزنها الغير مبرر برغم أنها لا يد لها فى جلبه أو فى دفعه.

ذلك الحزن الذى هو بيد من خلقك -كما خلق الفرح- وخلق نفسك لتزكيها بما ينفعها لتدخل الجنة، أو تفعل ما تأمرك به نفسك الأمارة بفطرتها بالسوء فتظلمها بطاعتك لها فيما يضرها فيكون جزاءك حينها إذا مت -من دون توبة- النار والعياذ بالله.

إذا تحدثت مع نفسك بمنطقية، وأجبتها بوعى، فستدرك أنك تبالغ فى ردة فعلك، وبالتبعية ستزول تلك المشاعر المبالغ فيها، ليبقى الحزن غير المبرر، والذى له علاج بحول الله وقوته، وعلاجه هو الاستعاذة بالله عز وجل، كما ذكرنا معنى الاستعاذة أن تلجأ إلى الله وتستجير بلطفه وبرحمته ليصرف عنك ذلك الهم وذاك الحزن، ليثيبك حينها بأجر دعاءك له، ويصرف عنك الحزن بأن يمحوه من قلبك كما وعدنا ﴿سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾ [الطلاق ٧]، أو ينير لك بصيرتك لترى اليسر الكامن فى ذلك العسر كما أخبرنا سبحانه وتعالى، فاليسر ملازم للعسر فى هذه الدنيا ولابد.

﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ [الشرح ٥].

﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ بشارة عظيمة، أنه كلما وجد عسر وصعوبة، فإن اليسر يقارنه ويصاحبه، حتى لو دخل العسر جحر ضب لدخل عليه اليسر، فأخرجه كما قال تعالى: ﴿سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾ وكما قال النبي ﷺ: "وإن الفرج مع الكرب، وإن مع العسر يسرا".

وتعريف "العسر" في الآيتين، يدل على أنه واحد، وتنكير "اليسر" يدل على تكراره، فلن يغلب عسر يسرين.

وفي تعريفه بالألف واللام، الدالة على الاستغراق والعموم يدل على أن كل عسر -وإن بلغ من الصعوبة ما بلغ- فإنه في آخره التيسير ملازم له".

(تفسير السعدى)

تكرارًا لما تقدم ذكره، فما تكرر تقرر فى القلب أكثر، و ارتوت بذرة الفكرة فى بواطن العقل لتنمو ثمارها كالعقيدة الصلبة جذورها فى مواجهة عواصف الفتن والابتلاءات، وتأكيدا لما فات فى الفصلين الأخيرين من معانى، أتركك مع الحديث القادم بشرحه عساك تجد فيه ما تثلج به وجع قلبك، وتتصبر به فى مصابك:

"والذي نفسي بيدِه ما يصيبُ المؤمنَ من نصبٍ ولا وصَبٍ ولا همٍّ ولا حزنٍ إلا كفّر اللهُ عنه بها من خطاياه حتى الشوكةَ يشاكُها".

(ابن كثير تفسير القرآن ٧/ ١٩٤ • صحيح)

"الإصابةُ بالمكروهِ ونُزولُ البلاءِ أمرٌ لا مَفَرَّ منه؛ فهي طَبيعةٌ في الحياةِ وسُنَّةٌ ربّانيَّةٌ اقتضَتْها حِكمتُه سُبحانه، ومِن رَحمتِه عزَّ وجَلَّ أنْ أخبَرَ عِبادَه بذلكَ في كتابِه: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴾ [البقرة: ١٥٥]؛ مِن أجلِ تَوطينِ نُفوسِهم على المصائبِ قبْلَ حُلولِها، فتَخِفُّ وتَسهُلُ عليهم إذا وقعَتْ.

وفي هذا الحديثِ تَسليةٌ لِلمُؤمنِ فيما يُصيبُه مِن مَصائِبِ الدُّنيا، أيًّا كان نَوعُ هذه المَصائِبِ وحَجمُها؛ كَبيرةً أو صَغيرةً، جَليلةً أو حَقيرةً، تكونُ تَكفيراً لِذُنوبِه.

فلو أصابَه «وَصَبٌ» وهو وَجعٌ مُلازِمٌ ومُستمِرٌ لصاحبِهِ، وهو ما يُعرَفُ في عَصرِنا بالمرضِ المزمِنِ، أو «نَصَبٌ»، وهو ما يَشعُرُ به مِن تَعبٍ في أعمالِ الخيرِ وطَلبِ الحلالِ، ويَشمَلُ أيضًا كلَّ وجَعٍ وفُتورٍ يُصِيبُ البدَنَ، أو «سَقَمٌ»، ويَشمَلُ كلَّ مَرضٍ حتّى لو كان خفيفًا، أو «حَزَنٌ» أي: على فَقْدِه لشيْءٍ أو لِما أصابَه مِن الابتلاءِ، «حتّى الهمِّ يُهَمُّهُ» بضَمِّ الياءِ وفتْحِ الهاءِ، وضُبِطَ «يُهِمُّه» بضمِّ الياءِ وكسرِ الهاءِ، والهمُّ هو الكَرْبُ والغَمُّ بسَببِ مَكروهٍ وقَعَ بهِ، ويَنشَأُ الهمُّ عن الفكرِ فيما يُتوقَّعُ حُصولُه ممّا يُتأذّى به، والغمُّ كَربٌ يَحدُثُ للقلبِ بسَببِ ما حَصَل، وقيل: الهمُّ والغمُّ واحدٌ، والمقصودُ مِن ذِكرِ الهمِّ الَّذي يُهِمُّه التَّسويةُ بيْن الحزنِ الشَّديدِ الَّذي يكونُ عن فقْدِ مَحبوبٍ، والهمِّ الَّذي يُقلِقُ الإنسانَ ويَشتغِلُ ،فما أصابَه مِن شَيءٍ مِن ذلك كلِّه، إلّا كانتْ تلكَ الأوجاعُ سَبباً في غُفرانِ بعضِ ذُنوبِه -وهي الصَّغائرُ- ومَحْوِها إذا صبَرَ واحتسَبَ في ذلكَ الأجرَ عندَ ربِّه.

وهذا مِن تَطْهيرِ اللهِ تَعالى للمؤمنِ بما يَبْتليهِ بهِ مِن أُمورِ الدُّنيا حتّى يُنقِّيهِ من ذُنوبِه، فيَلْقى اللهَ خالياً مِنها، فيُنعِم عليه مِن فَضلِهِ، فيكونُ أمرُ المؤمِنِ كلُّه خيراً؛ إنْ أصابَتْه سرّاءُ شَكَرَ، وإنْ أصابَتْه ضرّاءُ صبَرَ، فكانَ خيراً له".

(مصدر شرح الحديث الدُّرَر السَّنية)

أنت لله

"لاَ تَسْأَلَنَّ بُنَيَّ آدَمَ حَاجَةً
وَسَلِ الَّذِي أَبوَابُه لاَ تُحْجَبُ
اللهُ يَغْضَبُ إِن تَرَكْتَ سُؤَالَهُ
وَبُنَيَّ آدَمَ حِينَ يُسْأَلُ يَغْضَبُ".

أتمنى أن يكون قلبك مستمتع بمرافقتى فى جنبات هذا الكتاب، وأن تلامس قلبك ما تجده فيه من معانى، لنكمل يا صديقى..

نظرا لأهمية موضوع الإبتلاء وما يصاحبه من ألم ووجع، ووهن فى القلب، وغيرها من المشاعر التى تحجبنا عن التمتع بجنة الله، برغم محاولتنا، ولكن لأن فى طبعنا الضعف والنسيان، فإننا نضعف بسبب شعورنا باليأس من زوال البلايا والهموم والمشاكل، وننسى حالنا قبل البلاء، ونتوه عما يحيط بنا من نعم ومن يسر، مركزين نظرنا على ما نمر به من عسر، نظرا لكل ما سبق ذكره، فأحببت أن أزيد لقلبى وقلبك مبحث أخير لنطمئن به أنفسنا الهلوعة الجهولة، لنذكرها بإنا لله وإنا إليه راجعون، تأمل..

"إن أردت أن تتصبَّر على طاعتى، وأن تثبت على الطريق إلىَّ، وأن تتحمل فى السبيل إلىَّ البلايا، فاعلم أنه لا سمِىَّ لى؛ ولا نظير لى، ولا مُناظر لى، ولا مُكافئ لى، ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، فإذا أقر ذلك فى قلبك قراره، وهذا أمر مُلِح وينبغى أن نُلِح عليه؛ ذلك أن العقيدة ليست للحفظ فقط، وإنما تُحفظ ليُعمل بها.

[[دخل أبو طلحة الأنصارى رضى الله عنه على رسول الله ﷺ، وقد وقر الإسلام فى قلبه فظهر فى جبينه، فقال أتاكم أبو طلحة غُرَّة الإسلام فى وجهه، تلألأ وجهه نورا]].

وأنت قد ولدت فى الإسلام، وتدرس الإسلام، فأين نورك ؟! نسأل الله عز وجل أن يقسم لنا من نوره، إن الوقت قد ضاق على التململ، والسير إلى الله ينبغى أن تُقطع مراحله، فإن المرء لا يدرى متى يقابل الله عز وجل".

(الشيخ سمير مصطفى)

إنها العقيدة يا صديقى، هى ما نَثبت بحصونها فى مواجهة جيوش الشدائد والبلايا، فاثبت والجأ إلى الله الصمد -الذى يصمد إليه فى الحوائج، ويقصد إليه فى الرغائب-، اسأله أن يرزق قلبك الثبات والأمان والسكينة، اسأله ألا يُخرجك من جنة ذكره، وتذكر أن الأمر كله بيده سبحانه وتعالى: ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾

[هود ١٢٣]

"فما قولك إذا كان الأمر كله بيد الله، أتسأل غير الله ؟ أو هل تتوجه إلى غير الله ؟ أتعلّق الأمل على غير الله ؟ أتخاف من غير الله ؟.. أبدًا.

فقد سألنى أحدهم مرة: ما الذى يقوّى توجهى إلى الله ؟ قلت له: التوحيد، ما الذى يقوّى إخلاصى ؟ التوحيد، ما الذى يقوّى عزيمتى ؟ التوحيد، ما الذى يبعدنى عن الشرك ؟ التوحيد، وما تعلمت العبيد أفضل من التوحيد، وكلكم يعلم أن القرآن كله من دفته إلى دفته، من فاتحته إلى سورة الناس، كله حول التوحيد والدليل قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾

[الكهف ١١٠]

هذا هو الدين.. بل إن فحوى دعوة الأنبياء جميعا دون استثناء، هو التوحيد، والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء ٢٥]

فمادام الأمر كله بيد الله، وراجع إليه، إذن وحِّده واعبده، واصبر على ما أصابك، واصطبر على طاعاته سبحانه وقت غياب العزيمة وضعف الإيمان، اقصده، وتذكر من أين يأتى القصد ؟ من التوحيد، فإنك إن وحَّدت، تتجه إلى الله.

لكن كفكرة أقول: بعض الآيات والأحاديث كفكرة سهلة، وإدراكها سهل، وشرحها سهل، لكن أن تعيشها هذه هى المشكلة.. أجل أن تعيشها، فيا ترى

هل هناك مشكلة مزلزلة عشتها ؟ فأن ترى أن فلانا هو الذى أوقعك بها، أو فلانا من الناس هو الذى خلَّصك منها، فهذا هو الشرك، فأفكار التوحيد أفكار سهلة وليست معقدة، أما الممارسات فهذه تحتاج إلى جهد كبير، فالتوحيد محصلة جهودك الكبيرة فى طريق الإيمان".

(أسماء الله الحسنى للدكتور راتب نابلسى)

أرأيت يا صديقى مدى تأثير العقيدة، عندما تكون جذورها راسخة بقوة فى القلب، ترى حينها من القلوب الثبات وقت البلايا، تراك صابرا محتسبا أجر صبرك على الله، ترى من نفسك اليقين بعقيدة أن الله سبحانه هو الحكيم الذى يضع الشئ المناسب، فى المكان المناسب، بالحجم المناسب، فى الوقت المناسب، تأمل:

"أترى ما يحدث فى العالم، هناك شرور ومجاعات وآثام وزلازل وبراكين تنفجر وفيضانات وصقيع لا يحتمل، وإتلاف للمحاصيل وحروب أهلية، فيجب أن تؤمن، وهذا الإيمان يحتاج إلى جهد، أن كل شئ وقع لحكمة بالغة مطلقة، وهذه كلها للخير المطلق، ولكتك ترى رؤية محدودة أن الشر وقع مختارا وتتألم، ولكن الله يريد من أفعاله كلها الخير المطلق.

تصور أن غلاما يضربه أب شديد حازم، وبعد أن ضُرب أكثر من مرة استقام وأقبل على دراسته، ثم أصبح هذا الغلام الطالب فى مستقبله من ألمع الشخصيات، بالنظر القريب والقصير فهناك قسوة وشر، وبالنظر البعيد

هناك خير كثير، فهذا الغلام حينما ينعم ببحبوحة فى المال ومكانة اجتماعية وبيت مريح وغيره من متاع الدنيا، سيقبل يد أبيه التى ضربته وقت أن كان صغيرا، لذلك أى إنسان على وجه الأرض من آدم إلى يوم القيامة حينما يقف بين يدى الله عز وجل يُلخِّص علاقة الله به بكلمة واحدة هى: الحمد لله، قال تعالى: ﴿ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [يونس ١٠]

إن تسعة أعشار الأمراض الوبيلة أسبابها نفسية، ضغط نفسى وقلق وخوف وحيرة وحقد، فإن آمنت بهذه العقيدة -أن الله هو الحكيم سبحانه- تشفى من كل أمراضك النفسية، ولا ترى إلا أن يد الله تعمل فى الخفاء ولا ترى مع الله أحدًا، وتقول: الله هو كل شئ، وتتعامل معه وحده وتخلص له وتَمْحَضُه ودك وحبك وطاعتك، وتقدم فى سبيله حياتك وشبابك ومالك وعلمك ولسانك وقلمك وخبرتك، وهذا هو الإيمان".

(دكتور راتب النابلسى)

وختاما لمجلسنا سويا فى هذا المبحث، أسوق لك هذا الحديث النبوى بشرحه الماتع، لتدرك بقلبك محبة الله لك حبيبى فى الله:

"[عن قتادة بن النعمان:] إذا أحَبَّ اللهُ عبدًا، حَماهُ الدنيا، كما يَظَلُّ أحدُكم يَحْمِي سَقِيمَه الماءَ .."

(تخريج مشكاة المصابيح ٥١٧٨ • إسناده صحيح)

"مِن حِكمةِ اللهِ سبحانه وتعالى أنَّه يَبتَلي عبدَه المؤمِنَ المحسِنَ بالمنعِ مِن بعضِ الأشياءِ الَّتي يَراها النّاسُ خيرًا وفضلًا في الدُّنيا، ولكنَّ هذا الابتِلاءَ يَكونُ للتَّمحيصِ، ولخيرٍ أرادَه اللهُ للعبدِ، وقد لا يَرى أو لا يَعلَمُ المبتلى بعِلَّةِ المنعِ، ولا بجَزاءِ الصَّبرِ عليه.

وفي هذا الحَديثِ يَقولُ الرَّسولُ ﷺ: «إذا أحَبَّ اللهُ عبدًا حماه الدُّنيا»، أي: حَفِظه مِن كلِّ ما يُضِرُّ بدِينِه مِن الدُّنيا «كما يظَلُّ أحَدُكم يَحْمي سَقيمَه الماءَ»، أي: كفِعْلِكم مِن مَنعِكم المريضَ مِن شُربِ الماءِ في بعضِ الأمراضِ، وهذا ضَربٌ مِن التَّربيةِ النَّبويَّةِ والتَّعليمِ للمُسلِمين، وتَثبيتِهم على شَدائدِ الدُّنيا، وأنَّها تَجْري بقَدَرِ اللهِ، فلا يَجزَعُ المسلِمُ ولكن يُفكِّرُ في حِكْمةِ اللهِ، ويَصبِرُ على قَضائِه، ويُوقِنُ بأنَّ اللهَ اختار له الخيرَ.

وفي الحَديثِ: بيانُ أنَّ مَنْعَ اللهِ النِّعمةَ لِبَعضِ عبادِه المتَّقين، ليسَت لِسَخطِه عليهم، بل لحُبِّه لهم.

وفيه: ضَرْبُ المثالِ مِن الواقعِ لِتَقريبِ المعنى".

(مصدر شرح الحديث الدُّرَر السَّنية)

....

رسالة من الله

أعلنها صراحة لقلبك بأنى لم أنفذ ما اتفقنا عليه من أخذ استراحة لقلبى، استراحة لأتقوى بها مرة أخرى على ما يفتح الله لى به من معانى تضاف سطورها إلى صفحات هذا الكتاب، لم أستطع أن ألتزم بما طلبته منك لتعجلى بأن أرى فتح الله على قلبى من معارف أرشف منها بقلب طامع مشتاق رشفة تلو الأخرى متلذذا بحلاوة المعنى وجمال العلم بالله سبحانه وتعالى، ومتعجلا لتنعمى بجنة الأرض التى أدخلنى الله فيها مذ بدأ إنعامه علىَّ بعنوان هذا الكتاب ثم بالإبحار فى جنة معانى العلم بعظمته سبحانه وتعالى من نقول أقطفها كالورود بقلبى مرسلا نفحات عطرها إلى قلبى قبل قلبك وعقلى قبل عقلك، تعجل مع نظرى إلى نعمة الله علينا بالفقه فى دينه.

وسبحان الله كنت أكتب هذه السطور وقد تخطت بالفعل الساعة الخامسة صباحا، وقد قاربت صلاة الفجر على الحضور، ولازال قلبى متعجلا أتعب من الكتابة فأرتاح بسماع تلاوة الشيخ المنشاوى لسورة من سور القرآن الكريم وقد اخترت لراحتى الليلة سماع سورة الأنبياء، وبرغم سماعى لجزء منها فقد هوى موبايلى أن يعيدها مرة أخرى -بدون أى تدخل

منى-، ومازال تعجلى طاغيا علىَّ، ومازالت سطورى تنادينى لكتابتها، وإذا بى أكتب وأنا أسمع سماع بغير تركيز، حتى لاحت تلك الآية مرة واحدة على سمعى، طفت بكل حروفها فجأة على سطح بحور مسامعى -المنشغل عنها لانشغالى بالكتابة بما يفتح الله على قلبى- لتُهدِأ من تعجلى، وكأنها رسالة ممن خلقنى يرشدنى بها كعادتى به سبحانه وتعالى، فهو من خلقنى فهو يهدين سبحانه وتعالى، رسالة أنقلها إليك كما سمعتها لعلها تكون رسالة لك يا صديقى وأنا لا أدرى فكلنا فى الأصل رسايل من الرحمن إلى عباد الرحمن..

﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ ۚ سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾ [الأنبياء ٣٧]

"أي: خلق عجولا، يبادر الأشياء، ويستعجل بوقوعها، فالمؤمنون، يستعجلون عقوبة الله للكافرين، ويتباطئونها، والكافرون يتولون ويستعجلون بالعذاب، تكذيبا وعنادا، ويقولون: ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ والله تعالى، يمهل ولا يهمل ويحلم، ويجعل لهم أجلا مؤقتا ﴿إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ ولهذا قال: ﴿سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِى﴾ أي: في انتقامي ممن كفر بي وعصاني ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾ ذلك".

(تفسير السعدى)

فاهدأ أيها القلب ولا تستعجل قضاء الله، قد وعدك ربنا بأنه سيرينا أياته فلا تستعجل، أراك لاحقا يا صديقى..

....

إسم الله الأعظم

أهلا بك مرة أخرى يا صديقى، ترانى قد اشتقت إلى حديثنا سويا برغم مرور بضع ساعات فقط منذ استراحتى الأخيرة، الساعة الآن قد شارفت عقاربها على الوصول إلى رقم ١١ صباح يوم الجمعة، فلا تنسى أن تكثر من صلاتك على سيدنا محمد فى هذا اليوم، صلِّ عليه بالصلاة الإبراهيمية التى نقولها فى التشهد الأخير فى كل صلاة..

"[عن كعب بن عجرة:] قُلنا أو قالوا: يا رسولَ اللهِ أمرتَنا أن نصلِّيَ عليكَ وأن نُسلِّمَ عليكَ فأمّا السَّلامُ فقد عرفناهُ فَكيفَ نصلِّي عليكَ قالَ قولوا اللَّهمَّ صلِّ على محمَّدٍ وآلِ محمَّدٍ كما صلَّيتَ على إبراهيمَ وبارِك على محمَّدٍ وآلِ محمَّدٍ كما بارَكتَ على إبراهيمَ إنّكَ حميدٌ مجيدٌ".

(صحيح أبي داود ٩٧٦)

وكما تعودنا فلابد لنا من معرفة معنى اللهم صلِّ على محمد، لنتذوق حلاوة تريدها بقلوبنا قبل ألسنتنا، تأمل معنى اللَّهم صَلِّ على محمد:

"وأَما قَوْلُنَا: اللَّهُمَّ صلِّ عَلَى محمدٍ، فَمَعْنَاهُ عَظِّمْه فِي الدُّنيا بإعلاءِ ذِكرِهِ وإظْهارِ دعْوَتِه وإبقاءِ شَريعتِه، وَفِي الْآخِرَةِ بتَشْفِيعهِ فِي أُمَّتهِ وتضعيفِ أَجْرِهِ ومَثُوبَتهِ؛ وَقِيلَ: الْمَعْنَى لمَّا أَمَرَنا اللهُ سُبْحَانَهُ بِالصَّلَاةِ عليه ولم نَبْلُغ قَدْرَ

الواجبِ مِنْ ذَلِكَ أَحَلْناهُ عَلَى اللهِ وَقُلْنَا: اللَّهُمَّ صلِّ أنت عَلَى محمدٍ، لأَنك أَعْلَمُ بِمَا يَليق بِهِ.

وفِي الْحَدِيثِ: مَنْ صَلَّى عليَّ صَلَاةً صَلَّتْ عَلَيْهِ الملائكةُ عَشْرًا؛ أَي دَعَتْ لَهُ وبَرَّكَتْ".

(لسان العرب لابن منظور)

لنبدأ سويا حديثنا مما انتهينا إليه، فقد علمنا أن للعيش فى جنة الله – ذكر الله– فى أرضه فإن علينا أن نتفكر فى خلق الله من سماء وأرض لنرى ببصيرة قلوبنا يد الخالق المصور فى كل ما حولنا، وأن نتفكر فى ذكره سبحانه وتعالى، وقطفنا بقلوبنا من ثمار العلم بالله، بذاته سبحانه، بنفسه سبحانه، بأوصافه كما قال عن نفسه سبحانه لتزداد حلاوة اليقين بعقيدة أنه لا إله إلا الله، وترتوى جذورها داخل صدورنا فيحلو ذكره والخلوة معه سبحانه وتعالى.

ولنا هنا نقطة تدبر هامة جدا ألا وهى أن نعلم ما هو إسم الله الأعظم الذى إذا دُعِى به أجاب، تأمل..

"سَمِعَ النبيُّ ﷺ رجلاً يدعو وهو يقولُ: اللهم إني أسألُك بأني أشهدُ أنك أنت اللهُ لا إلَه إلا أنتَ الأحدُ الصمدُ الذي لم يلدْ ولم يولدْ ولم يكن له كُفُواً أحدٌ. قال فقال والذي نفسي بيدِه لقد سألَ اللهَ باسمِه الأعظمِ الذي إذا دُعيَ به أجابَ وإذا سُئِلَ به أعطى".

(بريدة بن الحصيب الأسلمي • سنن الترمذي ٣٤٧٥)

"[عن القاسم بن محمد بن أبي بكر:] اسمُ اللهِ الأعظمُ الَّذي إذا دُعِي به أجاب في سورٍ ثلاثٍ البقرةُ وآلُ عمرانَ وطه".

(صحيح ابن ماجه ٣١٢٤)

"للهِ سُبحانَه وتعالى أسماءٌ حُسْنى وصِفاتٌ عُلا، يُتوسَّلُ بها ويُدْعى بها سُبحانَه.

وفي هذا الأثَرِ يَقولُ التّابعيُّ القاسمُ بنُ عبدِ الرَّحمنِ- وقد رُوي هذا الأثرُ مرفوعاً عن القاسمِ عن أبي أُمامةَ الباهليِّ رَضِي اللهُ عَنه عن النَّبيِّ ﷺ-: «اسمُ اللهِ الأعظَمُ الَّذي إذا دُعِي به أجاب في سُوَرٍ ثلاثٍ؛ البقَرةِ وآلِ عِمْرانَ وطه»، وقد الْتمَسها بعضُ العلماءِ في هذه السُّوَرِ فوَجَدَها في البقَرةِ: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وفاتحةِ آلِ عِمْرانَ: ﴿ ٱلٓمٓ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴾ [آل عمران: ٢]، وفي طه: ﴿وَعَنَتِ ٱلۡوُجُوهُ لِلۡحَيِّ ٱلۡقَيُّومِۖ ﴾ [طه: ١١١]".

(مصدر شرح الحديث الدُّرَر السَّنِية)

قد عرفت فالزم هذا الدعاء لكى تنال الاستجابة من الله بإذنه سبحانه وتعالى، وإياك أن ييأسك الشيطان من رحمة الله عند تأخر الاستجابة منه سبحانه وتعالى، تأمل السطور الآتية بقلبك..

"[عن أبي هريرة:] يُسْتَجابُ لأحَدِكُمْ ما لَمْ يَعْجَلْ، يقولُ: دَعَوْتُ فَلَمْ يُسْتَجَبْ لِي.." **(صحيح البخاري ٦٣٤٠)**

"يُرشِدُنا النَّبيُّ ﷺ في هذا الحديثِ إلى أَدبٍ مِن آدابِ الدُّعاءِ؛ وهو أنْ يُلازِمَ العبدُ الطَّلَبَ في دُعائِه ولا يَيْئَسَ مِن الإجابةِ؛ لِما في ذلك مِن الانقِيادِ والاستِسلام وإظهارِ الافتِقارِ.

وإذا قال: «دَعَوْتُ فلم يُسْتَجَبْ لي» يكونُ كالمانِّ بدُعائِه على اللهِ تعالى، أو أنَّه يَرى أنَّه أتى مِن الدُّعاءِ ما يَستحِقُّ به الإجابةَ على اللهِ، أو أن يسأمَ الدُّعاءَ ويَترُكَه، وهذا سُوءُ أَدَبٍ مع اللهِ تعالى. وقدْ جاءَ في رِوايةٍ لِمُسلِمٍ: «لا يَزالُ يُسْتَجابُ للعبدِ ما لم يَدْعُ بإِثْمٍ أو قَطِيعَةِ رَحِمٍ، ما لم يَستعجِلْ. قِيلَ: يا رَسولَ اللهِ، ما الاستِعجالُ ؟ قال: يقولُ: قَدْ دَعَوْتُ وقدْ دَعَوْتُ، فلَمْ أَرَ يَسْتَجِيبُ لي، فَيَسْتَحْسِرُ عندَ ذلك، ويَدَعُ الدُّعاءَ».

وقيل: إنما يَعجَلُ العَبدُ إذا كان غرَضُه من الدُّعاءِ نَيْلَ ما سأل، وإذا لم ينَلْ ما يريد ثَقُل عليه الدُّعاءُ، ويجِبُ أن يكونَ غَرَضُ العَبدِ مِنَ الدُّعاءِ هو الدُّعاءَ للهِ، والسُّؤالَ منه، والافتقارَ إليه أبدًا، ولا يفارِقُ سِمةَ العُبوديَّةِ وعَلامةَ الرِّقِّ، والانقيادَ للأمرِ والنَّهيِ، والاستسلامَ لرَبِّه تعالى بالذِّلَّةِ والخُشوعِ؛ فإنَّ اللهَ تعالى يحِبُّ الإلحاحَ في الدُّعاءِ.

وفي الحديثِ: أنَّ مِن أسبابِ إجابةِ الدُّعاءِ المُداومةَ على الدُّعاءِ والإلحاحَ فيه".

(مصدر شرح الحديث الدُّرَر السَّنِية)

أكثر من دعاءك ولازم باب الله عز وجل، وأحسن ظنك بالله، ادعوه باسمه الأعظم خوفا من عذابه وطمعا فى جنته، ادعوه فى سرك، فى نفسك، فى جمع من أهلك أو أصدقاءك، واذكره بلسانك فى بيتك وفى الشارع وأثناء انتقالك من مكان إلى مكان، وانتقل من ذكر إلى ذكر لتستمتع بحلاوة كل ذكر على حدة، ففى كل صباح ومساء لك ذكر لتتمتع بحمده سبحانه وتعالى..

"[عن عبد الله بن غنام البياضي:] من قال حين يصبحُ: اللهمَّ ما أصبحَ بي من نعمةٍ أو بأحدٍ من خلقِك فمنك وحدكَ لا شريكَ لك فلك الحمدُ ولك الشُّكرُ فقد أدى شكرَ يومِه، ومن قال ذلك حين يُمسي فقد أدى شكرَ ليلتِه".

(مجموع فتاوى ابن باز ٣٠/٢٦ • إسناده حسن)

تحمده على ما أنعم به عليك من نعم، تكتبها بيدك، وتعددها بقلبك لتشكره عليها بلسانك، وبجوارحك -بالعمل بها فى طاعة الله-، فشكر نعمة البصر يكون بالحمد باللسان واستعمال بصرك فى طاعة الله فى النظر إلى ما خلق بتفكر، وفى النظر إلى آيات الله فى كتابه الكريم، وفى غضه عن محارم الله سواء فى العلن أو فى خلواتك، تشكره فى خلواتك بأن لا تجعله سبحانه وتعالى أهون الناظرين إليك.

وهكذا حال كل نعمة يكون شكرها بالحمد لله عليها باللسان وبالقلب، وباستعمالها فى طاعة الله وعدم استخدامها فى معصية الله.

وتذكر وأنت تدعو الله سائلا إياه حاجة لك فى الدنيا، أن لا تنسى أن

تدعوه بربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، أى أن تدعوه بدخول الجنة والنجاة من النار، فلا يكون همك فى الدعاء مقصور فقط على حاجتك فى الدنيا ناسيا أنها إلى زوال وأن الدار الباقية هى الدار الآخرة، ادعوه بذلك لكى لا تدخل فيمن ذكرهم فى تلك الآية..

﴿ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ﴾ [البقرة ٢٠٠]

"فمن الناس فريق يجعل همه الدنيا فقط، فيدعو قائلًا: ربنا آتنا في الدنيا صحة، ومالًا، وأولادًا، وهؤلاء ليس لهم في الآخرة حظ ولا نصيب؛ لرغبتهم عنها وقَصْرِ هَمِّهم على الدنيا".

(التفسير الميسر)

"وفي هذه الآية دليل على أن الله يجيب دعوة كل داع، مسلما أو كافرا، أو فاسقا، ولكن ليست إجابته دعاء من دعاه، دليلا على محبته له وقربه منه، إلا في مطالب الآخرة ومهمات الدين". (تفسير السعدى)

﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ [البقرة ٢٠١]

"والحسنة المطلوبة في الدنيا يدخل فيها كل ما يحسن وقعه عند العبد، من رزق هنيء واسع حلال، وزوجة صالحة، وولد تقر به العين، وراحة،

وعلم نافع، وعمل صالح، ونحو ذلك، من المطالب المحبوبة والمباحة. وحسنة الآخرة، هي السلامة من العقوبات، في القبر، والموقف، والنار، وحصول رضا الله، والفوز بالنعيم المقيم، والقرب من الرب الرحيم، فصار هذا الدعاء، أجمع دعاء وأكمله، وأولاه بالإيثار، ولهذا كان النبي ﷺ يكثر من الدعاء به، والحث عليه".

(تفسير السعدى)

وتذكَّر أنك بدعائك لله سبحانه وتعالى فأنت فى عبادة سواء أكان دعاءك دعاء مسألة -أى حاجة لك من حوائج الدنيا أو الآخرة-، أو دعاء عبادة كذكرك لا إله إلا الله، أو تسبيحك لله، أو تعظيمك له فى أذكار صباحك ومساءك.

فأنت حين تدعو الله بحاجة لك فى الدنيا -دعاء مسألة- فيثيبك على ذلك سبحانه وتعالى لعلمك أنه لا إله إلا هو، وأن مقادير الدنيا وخزائنها بيده وحده سبحانه وتعالى، وأنه الله الذى خلقك، وهو من يدبر الأمر، هذا بالإضافة إلى ثواب انتظار استجابته سبحانه وتعالى لدعائك، فعلى كل تلك العقائد تثاب حين تدعو الله فلا تنسى أن تعدد النوايا وأن تذكره وتدعوه سبحانه.

إضافة أنك حين تدعو الله فأنت تدفع عنك شر الأقدار..

"لا يردُّ القضاءَ إلّا الدُّعاءُ، ولا يزيدُ في العمرِ إلّا البرُّ".

(سلمان الفارسي • صحيح الترمذي ٢١٣٩)

"في هذا الحديثِ: «لا يَرُدُّ القضاءَ إلّا الدُّعاءُ»، أي: الأمرَ المقدَّرَ، فالدُّعاءُ يَكونُ سببًا في عَدَمِ نُزولِ البلاءِ المقدَّرِ لذلك الشَّخصِ، وقيل: رَدُّه هو تَهْوينُ وتَخفيفُ ما نزَل على العبدِ مِنه".

(مصدر شرح الحديث الدُّرَر السَّنِية)

وختاما لا تنسى أن تجعل لسانك رطبا بذكر الله..

"[عن معاذ بن جبل:] قُلْتُ أيُّ الأعمالِ أحبُّ إلى اللهِ قال: أنْ تَمُوتَ ولسانُكَ رَطْبٌ من ذكرِ اللهِ .."

(صحيح الترغيب ١٤٩٢• حسن صحيح)

....

وجعلنا النهار معاشا

هذا الفصل هو درس عملى لى ولك يا صديقى لنتدرب على تحرى صحة حديث ورد عن رسول الله، وفى هذا الفصل نحتاج أن نتحرى عن صحة حديث من ضمن كلماته (يقسم الأرزاق)، فضلا قم بالبحث عن تلك الكلمة فى تطبيق الباحث الحديثى، سأنتظرك..

إذا كنت مثلى فقد فوجئت بأن الحديث الوارد عن رسول الله والذى يتكلم عن تقسيم الله للأرزاق مابين الفجر وطلوع الشمس هو حديث (موضوع)، ومعنى أن يكون الحديث موضوع هو: أن يكون الكلام قد اختلقه وافتراه واحد من الناس، ونسبه إلى رسول الله ﷺ، وهذا القسم -الحديث الموضوع- لا يحل لأحد أن يرويه منسوباً إلى رسول الله ﷺ مع علمه بوضعه، وذلك لحديث سُمرة بن جندب -رضي الله عنه- أن النبي ﷺ قال: "من حدث عني بحديث يرى أنه كذب، فهو أحد الكاذبين" رواه مسلم.

فالحمد لله الذى علمنا مالم نكن نعلم، ولكن قبل أن تسهر -براحتك فقد علمت أن توزيع الأرزاق هى حديث موضوع- حتى قبيل الفجر فتضيع صلاة الفجر حاضرة فى وقتها، وبالتالى تظل نائما إلى قبيل صلاة الظهر، لتبدأ يومك لاهثا وراء ساعاته، محاولا اللحاق بدقائقه لتنجز ما عليك من

مهام وواجبات، قبل أن يصبح سهرك لوقت متأخر وصحوك متأخر عادة فاسمع واوع بعقلك ما قاله رسول الله فى السطور القادمة..

"عن صَخْرٍ الغَامِدِيِّ ـ رضي الله عنه ـ عن ﷺ قال: اللهمَّ بارك لأُمتي في بُكُورها، وكان إذا بعث سَرِيَّةً أو جيشاً؛ بعثهم من أول النهار. وكان صخر رجلًا تاجرًا، فكان يبعث تجارته من أول النهار، فَأثرَى وكَثُرَ ماله.." قال الألباني في تخريج سنن أبي داود في النسخة الأم: حديث صحيح.

"وقال الشيخ ابن عثيمين ـ رحمه الله – في شرح رياض الصالحين: حديث صخر –رضي الله عنه– أن النبي ﷺ قال: اللهم بارك لأمتي في بكورها. أي: في أول النهار، فدعا النبي ﷺ أن يبارك الله في أول النهار فيه لأمته؛ لأنه مستقبل العمل، فإن النهار كما قال الله تعالى معاش، وجعلنا النهار معاشاً، فإذا استقبله الإنسان من أوله صار في ذلك بركة، وهذا شيء مشاهد أن الإنسان إذا عمل في أول النهار وجد في عمله بركة، لكن – وللأسف– أكثرنا اليوم ينامون في أول النهار، ولا يستيقظون إلا في الضحى، فيفوت عليهم أول النهار الذي فيه بركة، وقد قال العامة: أمير النهار أوله، يعني أن أول النهار هو الذي يتركز عليه العمل، وكان صخر يبعث بتجارته أول النهار، فأثرى وكثر ماله؛ من أجل دعاء النبي ﷺ بالبركة لهذه الأمة في بكورها، والله الموفق. انتهى".

(شرح رياض الصالحين لابن عثيمين)

هذه السطور الفائتة أقولها لنفسى -ممن أصبح سهرهم عادة عافانا الله- قبل أن أوجهها إليك، لعلى بنصحى إياك أن يتوب الله على الفقير إلى فضله فيرزقنى وإياك الاستيقاظ فى البكور حتى يبارك الله لنا فيما نفعل.

....

تاريخ العقيدة

واجب التنويه أنى كنت أنوى أن نكمل رحلتنا بما يفتح الله على قلبى بفهم معانى اليسير من الأدعية المذكورة فى الكتاب والسنة، لنكمل رحلتنا فى جنة الله فى أرضه، ولكن قد زارتنى خاطرة ألا وهى أننا لكى نعيش تلك الحياة الطيبة، مطمئنين وفرحين بذكر الله، وأنه لا معبود يستحق العبادة إلا الله وحده، فلابد من أن تكون قلوبنا متشبعة فى أصلها بعقيدة واضحة ليلها كنهارها، لا تلك العقيدة التى لُوثت فطرتها وبعدت بقلوبنا عن تعاليم رسول الله، ومما زاد البعد بعدا هو عدم معرفتنا وجهلنا بما كان عليه الرعيل الأول -صحابة رسول الله- الذين تربوا فى مدرسة النبوة شاهدين بأعينهم على أقوال وأفعال ومواقف سيدنا محمد، والذى أشرف بنفسه صلَّ الله عليه وسلَّم على ملئ قلوبهم بتلك العقيدة البيضاء، عقيدة الإسلام الواضحة النقية كما أقسم لهم فى هذا الحديث، تأمل..

"وايمُ اللَّهِ، لقد تركْتُكُم على مثلِ البيضاءِ، ليلُها ونَهارُها سواءٌ".

(أبو الدرداء • صحيح ابن ماجه ٥ • حسن)

"أقْسَم النبيُّ ﷺ قائلًا:«وايْمُ اللهِ، لقد تَرَكْتُكم على مثْلِ البيضاءِ؛ ليلُها ونَهارُها سواءٌ»، أي: لنْ أُفارِقَكم إلّا وقد بيَّنتُ لكم كُلَّ أُمورِ الدِّينِ، وأوضَحتُ

لكم الطَّريقَ المُستقيمَ، أو قدِ اجتهدتُ في إصلاحِ حالِكم حتّى صرتُم على هذه الحالِ التي أنتم عليها، «على مِثْلِ البيضاءِ»، أي: على قُلوبٍ هي مِثْلُ الأرضِ البيضاءِ ليلًا ونهارًا، وقيل: على قُلوبٍ بَيضاءَ نقِيَّةٍ عنِ المَيلِ إلى الباطِلِ، لا يُمِيلُها عنِ الإقبالِ عنِ اللهِ تعالى السَّرّاءُ والضَّرّاءُ. فقال أبو الدَّرداءِ رضِيَ اللهُ عنه: «صدَقَ- واللهِ- رسولُ اللهِ ﷺ، ترَكَنا- واللهِ- على مثْلِ البيضاءِ؛ ليلُها ونهارُها سواءٌ»، أي: إنَّه رضِيَ اللهُ عنه يُؤَكِّدُ قولَ النَّبيِّ ﷺ بما أصْبَحوا عليه معه، وما وجَدُوه مِن بعده".

(مصدر شرح الحديث الدُّرَر السَّنِية)

ولكى لا أطيل على قلبى وقلبك يا صديقى، دعنا ننقى عقيدتنا من شوائب قد حالت بيننا وبين زيادة الإيمان فى قلوبنا، أنقلها نقلا كاملا فى الفصل القادم على لسان الدكتور عمر سليمان الأشقر رحمه الله، فأت بقلبك..

....

القرآن وحده
يوضح تاريخ العقيدة

"ليس هناك كتاب فى الأرض يوضح تاريخ العقيدة بصدق إلا كتاب الله سبحانه وتعالى، ففيه علم غزير فى هذا الموضوع، وعلم البشر لا يمكن أن يدرك هذا الجانب إدراكا وافيا لأسباب:

الأول: أن ما نعرفه عن التاريخ قبل خمسة آلاف عام قليل، أما ما نعرفه قبل عشرة آلاف عام فيعتبر أقل من القليل، وما قبل ذلك فيعتبر مجاهيل لا يدرى علم التاريخ من شأنها شيئا، لذا فإن كثيرا من الحقيقة ضاع بضياع التاريخ الإنسانى.

الثانى: أن الحقائق التى ورثها الإنسان اختلطت بباطل كثير، بل ضاعت فى أمواج متلاطمة فى محيطات واسعة من الزيف والدجل والتحريف، ومما يدل على ذلك أن كتابة تاريخ حقيقى لشخصية فى العصر الحديث تعتبر من أشق الأمور، فكيف بتاريخ يمتد إلى فجر البشرية ؟!

الثالث: أن قسما من التاريخ الملتبس بالعقيدة لم يقع فى الأرض، بل فى السماء.

لذا فإن الذى يستطيع أن يمدنا بتاريخ حقيقى لا لبس فيه هو الله سبحانه وتعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخۡفَىٰ عَلَيۡهِ شَيۡءٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ [آل عمران ٥]".

(الدكتور عمر سليمان الأشقر رحمه الله)

تعالى بنا نعيد الاتزان لعقيدتنا، ونروى جذورها فى قلوبنا، ويكون ذلك بالعلم بتاريخ العقيدة كما يرويها القرآن الكريم.

....

تاريخ العقيدة
كما يرويها القرآن الكريم

"أعلمنا الله سبحانه أنه خلق آدم خلقا مستقلا سويا متكاملا، قم نفخ فيه من روحه، وأسكنه جنته، وأباح له أن يأكل هو وزوجته منها كيف شاءا إلا شجرة واحدة، فأغراه عدوه إبليس بالأكل من الشجرة، فأطاع عدوه، وعصى ربه، فأهبطه الله من الجنة إلى الأرض، وقبل الهبوط وعده الله سبحانه بأن ينزل عليه وعلى ذريته هداه، كى يُعَرِّف الإنسان بربه ومنهجه وتشريعه، ووعد المستجيبين بالهداية فى الدنيا والسعادة فى الآخرة، وتوعد المستكبرين بالمعيشة الضنكة فى الدنيا وبالشقاء فى الآخرة: ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾ [البقرة ٣٨-٣٩]

وفى سورة طه يقول: ﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴾

[طه ١٢٣-١٢٦]

الجيل الأول من البشرية كان على التوحيد: هبط آدم إلى الأرض، وأنشأ الله من ذريته أمة كانت على التوحيد الخالص كما قال الله تعالى: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾ [البقرة ٢١٣]، أى على التوحيد والدين الحق فاختلفوا ﴿ فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ﴾ [البقرة ٢١٣]، وفى الحديث [عن أبي أمامة]: أنّ رجُلًا قال: يا رسولَ اللهِ أنبيٌّ كان آدَمُ ؟ قال: (نَعم مُكَلَّمٌ) قال: فكم كان بيْنَه وبيْنَ نوحٍ ؟ قال: (عشَرةُ قُرونٍ). (ابن حبان (ت ٣٥٤)، صحيح ابن حبان ٦١٩٠)

ومقدار القرن مائة سنة، وعلى ذلك يكون بين آدم ونوح ألف سنة. وبعد أن كان الناس أمة واحدة على التوحيد حصل الزيغ والانحراف، وكان أول انحراف حدث هو الغلو فى تعظيم الصالحين، ورفعهم إلى مرتبة الآلهة المعبودة.

ففى صحيح البخارى [عن عطاء بن أبي رباح:] عَنِ ابْنِ عَبّاسٍ، صارَتِ الأوْثانُ الَّتي كانَتْ في قَوْمِ نُوحٍ في العَرَبِ بَعْدُ أمّا ودٌّ كانَتْ لِكَلْبٍ بدَوْمَةِ الجَنْدَلِ، وأَمّا سُواعٌ كانَتْ لِهُذَيْلٍ، وأَمّا يَغُوثُ فَكانَتْ لِمُرادٍ، ثُمَّ لِبَنِي غُطَيْفٍ بالجَوْفِ، عِنْدَ سَبَإٍ، وأَمّا يَعُوقُ فَكانَتْ لِهَمْدانَ، وأَمّا نَسْرٌ فَكانَتْ لِحِمْيَرَ لِآلِ ذِي الكَلاعِ، أسْماءُ رِجالٍ صالِحِينَ مِن قَوْمِ نُوحٍ، فَلَمّا هَلَكُوا أوْحى الشَّيْطانُ إلى قَوْمِهِمْ، أنِ انْصِبُوا إلى مَجالِسِهِمُ الَّتي كانُوا يَجْلِسُونَ أنْصاباً وسَمُّوها بأَسْمائِهِمْ، فَفَعَلُوا، فَلَمْ تُعْبَدْ، حتّى إذا هَلَكَ أُولَئِكَ وتَنَسَّخَ العِلْمُ عُبِدَتْ..

(صحيح البخاري ٤٩٢٠)

فهذا أول انحراف وجد فى تاريخ البشرية عن التوحيد، فأرسل الله إليهم أول رسله نوحا عليه السلام مصداقا لوعده الذى أعطاه لأبى البشر آدم بإرسال الرسل وإنزال الكتب هداية للبشرية.

والدليل على أن نوحا كان أول رسول مبعوث حديث الشفاعة الثابت فى الصحيح، وفيه: "أن الناس يَأْتُونَ نُوحاً، فيَقولونَ: يا نُوحُ، أنْتَ أوَّلُ الرُّسُلِ إلى أهْلِ الأرْضِ، وسَمّاكَ اللهُ عَبْدًا شَكُورًا".. (صحيح البخارى ٣٣٤٠)

والنصوص التى بين أيدينا من كتاب ربنا تدل دلالة واضحة على أن نوحا قد دعا إلى التوحيد الخالص، فقد قال لقومه: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴾ [هود ٢٥-٢٦].

والذين استجابوا لدعوته للتوحيد هم ضعفاء الناس، وتَنَكَّر لها السادة والزعماء الذين يظنون فى أنفسهم العقل والذكاء حيث استكبروا عن متابعة الحق: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [الأعراف ٦٠] والملأ المذكورون فى الآية هم السادة والكبراء، وقالوا له: ﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ ﴾ [هود ٢٧] أى: اتبعوك بدون تأمل عميق، وتفكير ونظر، وهذا الذى رموهم به هو ما يجب أن يُمدحوا به، فإن الحق إذا ظهر لا يحتاج إلى نظر،بل يجب اتباعه.

وتعجبوا أن يبعث الله رسولا بشرا فقالوا: ﴿مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا﴾ [هود ٢٧]، ﴿فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً﴾ [المؤمنون ٢٤]، وطلبوا منه أن يطرد الضعفاء والمساكين الذين تابعوه فرفض طلبهم ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾ [هود ٢٩]

وقد تطاول الزمان وكثرت المجادلة بينه وبينهم كما قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ [العنكبوت ١٤] فدعا عليهم: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ [نوح ٢٦-٢٧] فأهلكهم الله بالطوفان: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ﴾ [الفرقان ٣٧] وأنجى نوحا والمؤمنين برحمة منه، وخلت الأرض من الظالمين، ولم يبق فيها إلا الموحدون، فلما انحرفوا عن التوحيد أرسل الله إليهم رسولا ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ [المؤمنون ٣١-٣٢]، فدعاهم إلى توحيد الله ﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ﴾ [المؤمنون ٣٢].

وهكذا استمرت رحمة الله وعنايته ببنى آدم كلما ضلوا وزاغوا أنزل لهم لهم هداه يضئ لهم الظلمات: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا ۖ كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ ۚ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون ٤٤].

هذه هى قصة البشرية الحقيقية صراع طويل بين الحق والباطل، بين

الرسل الذين يعرضون الهدى والحق، وبين الضالين المعرضين عن التوحيد المتمسكين بما ألفوا عليه الآباء والأجداد، وبأهوائهم ومعتقداتهم الباطلة: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكۡفُرُوٓاْ أَنتُمۡ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ٨ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لَا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا ٱللَّهُ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓاْ أَيۡدِيَهُمۡ فِيٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرۡنَا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِي شَكّٖ مِّمَّا تَدۡعُونَنَآ إِلَيۡهِ مُرِيبٖ ﴾ [إبراهيم ٨-٩].

وبالتأمل فى دعوة الرسل التى عرضا القرآن تتبين لنا الحقائق التالية:

الأولى: أن الله خلق الإنسان منذ البداية خلقا سويا مكتملا لغاية محددة، هى عبادته، وأنه خلقه مؤهلا لذلك.

الثانية: أن الله عرَّفه على نفسه منذ البداية، ولم يتركه لفكره يتعرف على ربه بطريق التفكير والتأمل، بل أرسل إليه رسلا، وقد كان هؤلاء الرسل من الكثرة بحيث إنهم بلغوا البشرية كلها ﴿ وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ ﴾ [فاطر ٢٤].

لذا فإننا لا نعلم أسماء جميع الرسل الذين أرسلهم الله ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلٗا مِّن قَبۡلِكَ مِنۡهُم مَّن قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ ﴾ [غافر ٧٨].

ومما يدل على ذلك أن الأمم المكذبة فى يوم القيامة تقر وتعترف بتبليغ الرسل لها دعوة الله قوله تعالى: ﴿ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۖ كُلَّمَآ أُلۡقِيَ فِيهَا فَوۡجٞ سَأَلَهُمۡ

خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَذِيرٞ ٨ قَالُواْ بَلَىٰ قَدۡ جَآءَنَا نَذِيرٞ فَكَذَّبۡنَا وَقُلۡنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ كَبِيرٖ ﴾ [الملك ٨-٩].

وما هذا التتابع فى إرسال الرسل على مدار التاريخ إلا رحمة من الله بعباده، ووفاء بوعده الذى وعد به آدم أبا البشرية، وإعذارا منه لخلقه: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ ﴾ [النساء ١٦٥]، ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا ﴾ [الإسراء ١٥].

الثالثة: دعوة الرسل واحدة، فأصل دعوتهم جميعا ولبها التوحيد، بتعريف الناس على ربهم ومعبودهم، وبيان الطريقة التى يعبدونه بها.

الرابعة: أن دين الرسل جميعا الإسلام لا دين لهم سواه: ﴿ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران ٨٥] فنوح يقول: ﴿وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴾ [يونس ٧٢].

وقال الله عن التوراة: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ ﴾ [المائدة ٤٤]، وقال موسى لقومه: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوۡمِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيۡهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسۡلِمِينَ ﴾ [يونس ٨٤]، وأمر الله خليله إبراهيم بالإسلام، فقال: ﴿أَسۡلَمۡتُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [البقرة ١٣١]، ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [البقرة ١٣٢].

وعندما سأل يعقوب بنيه عن معبودهم من بعده ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ [البقرة ١٣٣]، وملكة سبأ قالت: ﴿رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [النمل ٤٤]، ويوسف كان من دعائه: ﴿تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [يوسف ١٠١]، والرسول يقول: "والأَنْبِياءُ إخْوَةٌ لِعَلّاتٍ، أُمَّهاتُهُمْ شَتّى ودِينُهُمْ واحِدٌ.." (صحيح البخاري ٣٤٤٣)

وهذا التنوع الذى نراه فى الشرائع لا يدل على أن دينهم كان مختلفا، لأن الله قد يشرع أمرا لحكمة، ثم يشرع أمرا آخر فى وقت آخر لحكمة أخرى، بل قد يكون هذا فى الشريعة الواحدة، كما شرع الله فى بداية الأمر الاتجاه إلى بيت المقدس فى الصلاة، ثم نسخ ذلك بأن أمر بالتوجه إلى البيت الحرام، فكان الإسلام أولا التوجه إلى القدس، ثم أصبح التوجه إلى الكعبة، وكذلك شرائع الأنبياء، فالمتأخر ينسخ المتقدم، وأصبحت الشريعة المنزلة على محمد هى الشريعة الخاتمة الناسخة لما قبلها من الشرائع".

(الدكتور عمر سليمان الأشقر رحمه الله)

....

جنة الأرض

أهلا بك يا صديقى فى محطة جنة الأرض، إسمح لى أن آخذك فى جولة لنشهد فيها سويا ما يفتح الله علينا من محاولاتنا لوصف إكرام الله لنا بالعيش تلك الحياة الطيبة ونحن مطمئنين فى جنة ذكره، العيش فى جنة الأرض، بعقيدة المسلم الذى قد أسلم بقلبه لله فحسن إسلامه وأكرمه ربه بزيادة الإيمان فى قلبه، فانقادت جوارحه تبعا لذلك الإيمان حرصا منها على طاعة سيدها ومولاها وخالقها رب السماء والأرض وما فيهن هو الله جل فى علاه، وحرصا من تلك الجوارح على البعد عما نهانا عنه سبحانه.

تلك الحالة التى نصل إليها بأرواحنا، فتسكن صوت النفس الأمارة بالسوء فلا تسمع لها إلا همسا، وكأنها قد شهدت عظمة رب الكون فيها وفى سمائه وأرضه فسكنت شهواتها طمعا فى نيل المزيد من تلك الراحة، من جنود سكينته سبحانه وتعالى التى احتضنتها أرواحنا مسرورة بقدومها، مثل احتضان أم لابنها بعد غياب طويل فى سنوات عجاف.

تلك الحالة حيث شهود فضله سبحانه وراء كل خير، ولطفه ورحمته فى لحظات البلاء، وتيسيره فى الأمور كلها، دينا ودنيا، ودنيا ودين، تيسير متعاقبة أمواجه كتعاقب الليل والنهار، بلا كلل ولا ملل، تيسير يجعل

اللسان عاجزا عن شكره سبحانه وتعالى مهما لهج إليه بالدعاء، شعور بالعجز عن الشكر ولكنه رحيم قد علم أننا لن نحصيه قدرا ولا شكرا ولا ذكرا ولا ثناءًا، فتاب علينا سبحانه التواب.

تلك الحالة التى كلما تزداد ازداد معها رسوخ جذور عقيدة أنه لا معبود يستحق العبادة إلا الله داخل قلوبنا، فتنشرح صدورنا أكثر وأكثر لاستقبال نفحات من فضل الله علينا فى كل حال لنا، واستشعار نعمه فينا وحولنا، طامعين فى أن يرضى عنا ويديم علينا نعمة العيش فى جنة ذكره، ونعمة انشراح صدورنا بالإسلام له، تأمل..

﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ ﴾ [الأنعام ١٢٥]

"يقول تعالى: إن من انشرح صدره للإسلام، أي: اتسع وانفسح، فاستنار بنور الإيمان، وحيي بضوء اليقين، فاطمأنت بذلك نفسه، وأحب الخير، وطوعت له نفسه فعله، متلذذا به غير مستثقل، فإن هذا علامة على أن الله قد هداه، ومَنَّ عليه بالتوفيق".

(تفسير السعدى)

لتحيا يا صديقى فى جنة الأرض، مطمئن بذكره، شاكرا لنعمه، صابر عند الشدائد احتساباً لأجر الصبر وأنت ترجو ثواب عبادة انتظار الفرج منه سبحانه وتعالى، وعند حدوث ثورة ظنون السوء فى داخلك بسبب طول المحنة والكرب، تلك الظنون التى تريدك أن تقنط من رحمة الله، فإذا بك

تدعو بيقين المضطر إلى دعاء الله بأن يزيح عنك ما هو أعلى وأعلم به عنك، فتجد فى صدرك انشراح باستسلامك لقضائه، راضى -وقد أخذت بالأسباب لدفع ما أصابك- بقدره وأنت صابر محتسب، لتشعر بقلبك أنك بفضل الله قد أدخلك فى عباده الذين مَنَّ عليهم بالحياة الطيبة:

"﴿ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ﴾ وذلك بطمأنينة قلبه، وسكون نفسه، وعدم التفاته لما يشوش عليه قلبه، ويرزقه الله رزقا حلالا طيبا من حيث لا يحتسب".

(تفسير السعدى)

....

الخروج من الجنة

- ضعف اليقين-

بداية أحب أن أهنئ قلبك على ما وصلنا إليه من حالة اليقين بعقيدة أنه لا معبود يستحق العبادة إلا الله، الصمد، الحكيم، أدامها الله علينا نعمة وبارك فيها، لكن وجب علىَّ أن أنبه قلبك إلى تربص أعدائنا بنا، بداية من ذاك الشيطان الرجيم بوساوسه، ومن نفس مجبولة على أن تأمرنا بالسوء، ودنيا يزينها الشيطان لنفوسنا الضعيفة، طمعا أن تلهينا عن ذكر الله، فنخرج من جنة الأرض كما أُخرج أبوينا من جنة السماء، فدعنا يا صديقى لا نعرض - نَعْشُ- عن ذكر الله، وأفضل الذكر كما قال سيدنا محمد هو قول لا إله إلا الله، ترديدها بألسنتنا وقلوبنا، دعنا لا نَعْشُ -نعرض- عن قراءة كلام الله -القرآن الكريم- وسماع آياته بتدبر، يقول السعدي في معنى التدبر:

"التأمل في معانيه، وتحديق الفكر فيه، وفي مبادئه وعواقبه، ولوازم ذلك [من العمل والاتباع]". (تفسير السعدى)

تأمل حال من يعمى عن ذكر الله: ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [الزخرف ٣٦-٣٧]

"قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ﴾ أَيْ يُعْرِضُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ فَلَمْ يَخَفْ عِقَابَهُ، وَلَمْ يَرْجُ ثَوَابَهُ، قَالَ الْخَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ: أَصْلُ الْعَشْوِ النَّظَرُ بِبَصَرٍ ضَعِيفٍ. وَقَرَأَ ابْنُ عَبَّاسٍ: "وَمَنْ يَعْشَ" بِفَتْحِ الشِّينِ أَيْ يَعْمَ، يُقَالُ عَشَى يَعْشَى عَشاً إِذَا عَمِيَ فَهُوَ أَعْشَى، ﴿نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا﴾ نُسَبِّبُ لَهُ شَيْطَانًا وَنَضُمُّهُ إِلَيْهِ وَنُسَلِّطُهُ عَلَيْهِ، ﴿فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ لَا يُفَارِقُهُ، يُزَيِّنُ لَهُ الْعَمَى وَيُخَيِّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ عَلَى الْهُدَى".

(تفسير البغوى)

فكان من اللازم علىَّ أن أنبهك إلى تلك الوساوس –الخواطر– التى تؤدى إلى زلزلة اليقين بالله بداخل قلوبنا، وتهز قلوبنا هزا، خواطر تقود ظواهرنا وبواطننا إلى فعل ما يرضى الله عز وجل، بداية من فعلنا لمعاصى ثم نتذكر بفطرتنا أنه لا إله إلا الله فنتوب إليه من تأليهنا لهوانا ونستغفره من اتباع ذلك الهوى، ثم إذا تكرر الذنب ولم نجدد له توبة يتحول ذلك الذنب إلى عادة، فنفعلها بدون وقع لذرة ندم داخل نفوسنا هذا إن شعرنا بالذنب من الأساس، ثم مرورا بمعاصى اعتدنا فعلها ووجودها حولنا فألفناها داخلنا وخارجنا، ثم انتقلنا بعدها لدركة أسفل فى طريقنا وهى دركة المجاهرة بتلك المعاصى والذنوب، بل وتبريرها فى حالة المواجهة بها بالتشكيك فى الكتاب والسنة متبعين هوى النفس وإغواء الشيطان، وأخيرا وليس آخرًا أن نكون أحياء كالأموات، نعم مازلنا على الإسلام إسما فقط، ولا علاقة لواقع حياة

ذلك المسلم بدين الإسلام من قريب أو من بعيد، بما يحويه ذلك الدين القيم من أوامر الله ونواهيه فى كتابه الكريم وفى سنة رسوله ﷺ.

وذلك لأسباب كثيرة لا طاقة لى بسردها هنا فأخاك قد بلغه الوهن، وهذه الأسباب حقا تحتاج إلى من هو أعلم منى وأفقه منى، وهى تحتاج إلى حيوات تبذل فى سبيل كتابة سطور عما وصلنا إليه ؟ وكيف وصلنا إليه ؟ وما السبيل للعودة إلى عقيدتنا، تلك العقيدة التى تربت عليها قلوب الرعيل الأول فنالوا ما نالوا من الشرف والعزة والرفعة فاللهم أعزنا بطاعتك ولا تذلنا بمعصيتك، أنت وحدك المعين والمستعان.

ولعل من أعظم تلك الأسباب من وجهة نظرى هو ضعف اليقين بالله فى قلوبنا، فألفنا المعاصى وألفتنا، اعتدنا وجودها حولها بلا إنكار بالقلب، ولك مثل فى سب دين الله على ألسنة الصغار قبل الكبار فى شوارع بلداننا المسلمة، بلا نهى ولا زجر ولا ردع عافانا الله وإياكم، علما بأنه إذا تكرر المشهد ولكن تحول السب من سب الدين إلى سب الأب أو الأم أو العرض لوجدت الغضب لغة، ورد الاعتبار عقيدة قد تصل فى أغلب الأحيان إلى الإشتباك بالأيدى وما يصحبه من سيل من السباب دفاعا عن العرض، فأين عقيدة الدفاع عن عقيدة لا إله إلا الله من قلوبنا ؟!

قد بهتت عقيدة لا إله إلا الله فى قلوبنا -إلا من رحم ربى-، فضعف اليقين حتى غاب مشهد الإحسان فى قلوبنا وهو استحضار رؤية الله عز وجل

-بعلمه لنا- طول الوقت، فعصينا وألفنا معاصينا، وحكمتنا غفلتنا وأنستنا أن هناك رب فى السماء يعلم ما نصنع، وإليه نرجع، فماذا أعددنا لذلك اللقاء ؟

ولما كان ضعف اليقين بذلك خطورة، وجب إفراد فصل له، على أن نقسم الفصل إلى مباحث نختص فيها بكل سبب على حدة، نحيط باليسير منه بما يفتح الله على الفقير إلى فضله وعلمه، لنعلم من أسبابه ما نبدأ بالعمل بتفاديه، ولمن وقع منا بين قبضة هذا الداء أن يعالج قلبه بعدما عرف داؤه، وأن يبدأ فى مجاهدة نفسه لكى يمُنُّ عليه الله برحمته بأن يدخله فى جنة ذكره فى الأرض مرة أخرى..

﴿ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ ﴾ [طه ٣٧]

....

المبحث الأول

- ضعف اليقين بالوالى؟! -

"ليست تنزل بأحدٍ من المسلمين نازلةٌ، إلا في كتاب الله الدليل على سبيل الهدى فيها".

(الإمام الشافعى)

هل تساءلت يوما عما إذا كانت هذه الآية -التى سمعتها أو قرأتها- موجهة إليك الآن فى عز إحتياجك لها ؟! أتؤمن بتولى الله عز وجل ؟ أتؤمن بأن الله يرشدك برسائل وكأنك -حرفيا- المقصود بتلك الرسالة ؟! مكالمة هاتف روتينية ترى صاحبها يقول لك ما يرشدك فى مشكلتك ومحنتك من دون علمه بما تمر به ؟! آية أو جملة أو كلمة من القرآن الكريم تسمعها -ولو غصبًا عن طريق الصدفة- بها رسالة عتاب إلى قلبك ؟! أجبنى أيحدث لك ذلك ؟! وإذا حدث أتظن أنه يحدث صدفة ؟!

هل من المنطق أن يكون الله قد أحاطك بتوليه لك منذ أن خلقك وأنت فى رحم أمك، هل سيتركك عندما تكبر وأنت الذى لا تستغنى عن حوله وقوته طرفة عين ؟! أمن المنطق أنه سبحانه قد خلق السماء وهو يمسكها عن أن تطبق علينا، أيتركك تحتها تعيش هائم كالدواب بلا توفيقه وإرشاد

منه سبحانه ؟ أمَّن خلق لك قلبا ينبض بانتظام على مدار حياتك سيتركك فى ظلمات نفسك والدنيا والشيطان تحاربهم من دون أن يخرجك من ظلماتهم إلى النور ؟ وكيف سيهديك وقد ختم إنزال الرسل برسوله محمد ؟

ألازلت تشكك فى هدايته لقلبك وإنارته لبصيرتك عن طريق رسائل تلقاها من عباده ؟ أتكون كل تلك الإشارات والرسائل صدفة ؟! يا صديقى أهناك فى الكون صدفة من الأساس ؟! وكيف يكون مدبرًا سبحانه لأمور خلقه كافة ويترك -حاشاه- مثقال ذرة فيه أن تتحرك على سبيل الصدفة ؟!

﴿ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِۖ لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَآ أَصۡغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴾ [سبأ ٣-٤]

"الله علام الغيوب، الذي لا يغيب عنه وزن نملة صغيرة في السموات والأرض، ولا أصغرُ من ذلك ولا أكبرُ إلا هو مسطور في كتاب واضح، وهو اللوح المحفوظ".

(التفسير الميسر)

أمازلت تتغافل عن إشارات الله ورسائله ؟! التى يرشدك بها فى الدنيا، لتظل متنعمًا بالعيش تلك الحياة الطيبة، مطمئنا فى جنة ذكره فى الأرض، إلى متى ستظل تنظر لها على أنها غير صحيحة برغم أنها تكون بالقدر الذى تحتاجه فى الوقت الذى تحتاجه ؟! رسائل تهدى، تنير، تحذر، تُخوِّف، ترشد،

تُهوِّن، يسكن بها القلب، ينشرح القلب بها ولها، تصلح البال، رسائل وإشارات، رسائل هى فى أصلها آيات.

تعالى لنتعلم معنى كلمة آية: "الآية: العلامة الظَّاهرة. وحقيقته لكلّ شيءٍ ظاهر هو ملازم لشئ لا يظهر ظهورهَ، فمتى أَدْرَك مُدْرِكٌ الظَّاهرَ منهما علِم أَنَّه أَدرك الآخر الَّذى لم يُدْركه بذاته؛ إِذْ كان حكمهما سَوَاءً".

(بصائرذوى التمييز)

أمازلت تتهم نفسك بالجنون ؟! تصفها بالجنون كلما أبصرت رسالة منه سبحانه ؟! أتؤمن بأن الله هو رب العالمين ؟ نعم فتأمل معناها يا صديقى: "﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الرب، هو المربي جميع العالمين -وهم من سوى الله- بخلقه إياهم، وإعداده لهم الآلات، وإنعامه عليهم بالنعم العظيمة، التي لو فقدوها، لم يمكن لهم البقاء. فما بهم من نعمة، فمنه تعالى.

وتربيته تعالى لخلقه نوعان: عامة وخاصة. فالعامة: هي خلقه للمخلوقين، ورزقهم، وهدايتهم لما فيه مصالحهم، التي فيها بقاؤهم في الدنيا. والخاصة: تربيته لأوليائه، فيربيهم بالإيمان، ويوفقهم له، ويكمله لهم، ويدفع عنهم الصوارف، والعوائق الحائلة بينهم وبينه، وحقيقتها: تربية التوفيق لكل خير، والعصمة عن كل شر. ولعل هذا [المعنى] هو السر في كون أكثر أدعية الأنبياء بلفظ الرب. فإن مطالبهم كلها داخلة تحت ربوبيته الخاصة.

فدل قوله ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ على انفراده بالخلق والتدبير، والنعم، وكمال غناه، وتمام فقر العالمين إليه، بكل وجه واعتبار".

(تفسير السعدى)

صديقى الله لم يخلقنا عبثا ولا لهوا، ولم يتركنا لأهوائنا، قد أكرمنا بنزول كلامه -القرآن الكريم- هداية وبشرى ورحمة ونور لمن يتفكر ويتدبر آياته، لمن ينزلها على تفاصيل حياته، لمن يطلب الحلول لما يلاقيه فى الدنيا من ابتلاءات ومشاكل فى صفحاته، هو يا صديقى بصائر لقلبك، تأمل:

﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾ [الأنعام ١٠٤]

"﴿بَصائِرُ﴾ أيْ: أنْوارٌ هي لِقُلُوبِكم بِمَنزِلَةِ الضِّياءِ المَحْسُوسِ لِعُيُونِكم ﴿مِن رَبِّكُمْ﴾ أيْ: المُحْسِنِ إلَيْكم بِكُلِّ إحْسانٍ، فَلا إحْسانَ أصْلًا لِغَيْرِهِ عِنْدَكم، فاصْعَدُوا عَنِ النَّظَرِ بِالأبْصارِ إلى الِاعْتِبارِ بِالبَصائِرِ، ولا تَهْبِطُوا في حَضِيضِ التَّقْلِيدِ إلى أنْ تَصِلُوا إلى حَدٍّ لا تَفْهَمُونَ مَعَهُ إلّا ما يُحَسُّ بِالأبْصارِ بَلْ تَرَقَّوْا في أوْجِ المَعْرِفَةِ إلى سَماواتِ الِاجْتِهادِ وجَرِّدُوا لِقُطّاعِ الطَّرِيقِ صَوارِمَ البَصائِرِ، فَإنَّكم إنْ رَضِيتُمْ بِالدُّونِ لَمْ تَضُرُّوا إلّا أنْفُسَكم، وإنْ نافَسْتُمْ في المَعالِي فَإيّاها نَفَعْتُمْ.

ولِذَلِكَ سَبَّبَ عَنْ هَذا النُّورِ الباهِرِ والسِّرِّ الظّاهِرِ قَوْلَهُ: ﴿فَمَن أبْصَرَ﴾ أيْ: عَمِلَ بِالأدِلَّةِ ﴿فَلِنَفْسِهِ﴾ أيْ: خاصَّةِ إبْصارِهِ لِأنَّهُ خَلَّصَها مِنَ الضَّلالِ

المُؤَدِّي إلى الهَلاكِ ﴿ومَن عَمِيَ﴾ أيْ: لَمْ يَهْتَدِ بِالأدِلَّةِ ﴿فَعَلَيْها﴾ أيْ: خاصَّةِ عَماهُ لِأنَّهُ يَضِلُّ فَيَعْطَبُ". (نَظْم الدُّرَر للبقاعى)

فأبشر وأقبل على القرآن بقلبك، اجعل له ورد ترتوى به كل يوم وليلة، ذكرنا سابقا أن لدخول جنة الأرض علينا بفهم معانى ذكر الله المختلفة، فما بالك بتدبر معانى كلامه، وهل هناك أنفع لقلبك من ذلك ؟

"أن نقرأ القرآن ونتفهمه حتى تكون آياته على طرف ألسنتنا، ومعانيه نصب أعيننا، لنطبق آياته على أحوالنا، وننزلها عليها كما كانت تنزل على الأحوال والوقائع؛ فإذا حدث مرض قلبي أو اجتماعي، طلبنا دواءه في القرآن وطبقناه عليه، وإذا عرضت شبهةٌ أو ورد اعتراضٌ، طلبنا فيه الرد والإبطال، وإذا نزلت نازلةٌ، طلبنا فيه حكمها؛ وهكذا نذهب في تطبيقه وتنزيله على الشئون والأحوال إلى أقصى حد يمكننا".

(مجالس التذكير)

صدقا أريد منك فى نهاية هذا المبحث الذى ذكرنا فيه السبب الذى يؤدى فى ضعف اليقين بداخلنا وهو ضعف اليقين بتولى الله لنا، أريد منك أن تنتهى عن وصف نفسك بالجنون عندما تبصر بقلبك آيات الله ورسائله التى تجدها فى كتابه أو على لسان عباده فى الأرض، أريد من قلبك اليقين بأن الله هو الوالى، تأمل شرح دكتور راتب النابلسى لإسم الله تعالى (الوالى) ليسكن قلبك به ويزول عنك وصفك لنفسك بالجنون:

"الوالى هو الذى يدبر شئون خلقه، فهو المالك للأشياء جمعيها المتصرف فيها، أكرر الوالى من الولاية.. تُشعر بالتدبير، والقدرة، والفعل فى خطة.

أحيانا قد تجد أبا مهملا، أبا غائبا عن ساحة التربية، أبا مشغولا، لكن الله سبحانه وتعالى هو الوالى لأمور خلقه يرعاهم، ويرشدهم، يبين لهم، أحيانا يؤدبهم، يردعهم، يشجعهم، ويكافئهم، ويعاقبهم، يتولى أمر أجسادهم، ويتولى أمر نفوسهم، يتولى أمر دينهم، يتولى أمر دنياهم.

وإن من علامات الإيمان أن تتجاوز الخلق إلى الحق، أن تتجاوز النعمة إلى المنعم، أن تتجاوز التسيير إلى المسيِّر، التكوين إلى المكوِّن، الخلق إلى الخالق، التنظيم إلى المنظِّم، هذا التجاوز هو الإيمان، وإن أهل الدنيا عند التنظيم لا عند المنظِّم، عند الخلق لا عند الخالق، فالوالى هو المتفرد بالتدبير أولا، المتكفل بتنفيذ التدبير والتحقيق ثانيا".

(دكتور راتب النابلسى)

فهلا انتبهت يا صديقى المتشكك فيما أدركته من رسائل من الله، هلا انتبهت يا صديقى وكفاك وصف نفسك بالجنون، إنزع عن نفسك حجاب التشكك، وعش فى جنة ذكر الله فى أرضه، تتبع رسائله وإشاراته وعلاماته وآياته إلى قلبك، ليخرجك بها سبحانه من ظلمات الشك والتيه والتردد والتخبط إلى نور اليقين والهدى والسداد، فلا يخرجك ضعف اليقين بتولى الله من جنة الله يا صديقى.

المبحث الثانى

- ضعف اليقين بالغفلة-

"عجبا من مؤمن يوقن، ولا ينفعه يقينه! ويعقل العواقب، ولا ينفعه عقله!"

(ابن الجوزى)

إنها الغفلة يا صديقى، تلك الحالة التى تلتقى فيها بالملك فى صلاتك من غير إثبات حضور بقلبك، تصلى بقلبك لاه، وعقل مشغول بمتاع الدنيا الزائل، ماذا سأفعل فى ذلك الموضوع ؟ وهل سأذهب إلى ذلك المشوار ؟ وماذا سآكل بعد قليل ؟ وكيف سأخرج من هذه المشكلة التى أمر بها ؟ وغيرها الكثير والكثير من الأفكار التى تتشتت بها، فتصلى بلا قلب ؟! وتقرأ القرآن فى صلاتك بدون تدبر ؟! وتسبح فى ركوعك وسجودك بدون تفكر ؟!

صدقا أنا أُذكِّر بهذا الكلام نفسى قبل نفسك، عافانى الله وإياك، فالغفلة هى الداء الذى لابد لنا من تجرعه ونحن فى الطريق -إلا من رحم ربى-، لكن منا من تكون غفلته كساعة من نهار وسرعان ما يعود على الطريق، تائبا عما فرط، سائرا فى الطريق إلى الله عز وجل، عازما على تعويض ما فاته فى غفلته، ومنا من تكون غفلته كالنوم العميق، مهما أتته

رسائل وعلامات من الله فهو في غفلته ساكن، لا يقوى على التخلص منها، طالت غفلته فنسى بها الله، فأنساه الله نفسه، فقسى قلبه بطول أمد غفلته، تأمل العتاب من الله عز وجل يا صديقي، تدبر معناه بقلبك:

﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾ [الحديد ١٦]

"أي: ألم يجئ الوقت الذي تلين به قلوبهم وتخشع لذكر الله، الذي هو القرآن، وتنقاد لأوامره وزواجره، وما نزل من الحق الذي جاء به محمد ﷺ ؟ وهذا فيه الحث على الاجتهاد على خشوع القلب لله تعالى، ولما أنزله من الكتاب والحكمة، وأن يتذكر المؤمنون المواعظ الإلهية والأحكام الشرعية كل وقت، ويحاسبوا أنفسهم على ذلك.

﴿ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ ﴾ أي: ولا يكونوا كالذين أنزل الله عليهم الكتاب الموجب لخشوع القلب والانقياد التام، ثم لم يدوموا عليه، ولا ثبتوا، بل طال عليهم الزمان واستمرت بهم الغفلة، فاضمحل إيمانهم وزال إيقانهم، ﴿ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ فالقلوب تحتاج في كل وقت إلى أن تذكر بما أنزل له الله، وتناطق بالحكمة، ولا ينبغي الغفلة عن ذلك، فإن ذلك سبب لقسوة القلب وجمود العين".

(تفسير السعدى)

ما حال قلبك الآن ؟ ألم يحِن لخالقه ؟ ألم يأن لذلك القلب أن يعود لله فيخشع بذكره ؟ سِر إليه يا صديقي ولو حبواً:

"سيروا إلى الله عرجى ومكاسير، فإن انتظار الصحة بطالة".

(الشيخ سمير مصطفى)

ألم يأن لقلوبنا أن تخرج ممن وصفهم الإمام الغزالى فى قوله: أنت فى غفلة وقلبك ساهىَ .. ذهب العمر والذنوب كما هىَ

إن الغفلة مكتوبة علينا ولابد، ولكن الفطن من يعمل عقله، من يستعيذ بالله طالبا منه أن يرزقه الخشية بدءًا فى صلاته: "فتعظيم الصلاة، وقوة اليقين بمعانيها، وقوة الإيمان بها هى أول وأهم لبنة يتم بناؤها فى تربية الإنسان وصناعته.

فالمقصود من إقامة الصلاة هو ذكر الله، وما هو ذكر الله ؟ هو اليقين بأنه لا إله إلا الله وحده لا شريك له، هو إخلاص العبودية لله وحده، هذا هو أساس مقاصد الصلاة وقاعدتها، ومنه تتفرع بقية المقاصد، حيث أن المقصود الأعلى والأعظم من الصلاة أنها ترسخ فى القلب [لا إله إلا الله]؛ أى تعظيم الله وتقديسه، والانكسار والتذلل له سبحانه، هذا هو هدف الصلاة والغاية من مشروعيتها.

فإذا سألتك نفسك: لماذا تصلى ؟

فالجواب: أصلى لله، لأحفظ اسم الله، فلا يغيب عن قلبى طرفة عين.

إن النصر الداخلى هو أول خطوات النصر، ولا يمكن النصر الخارجى بدونه، فالقوة النفسية هى القوة الحقيقية التى ينتصر بها الإنسان فى

الحياة، فالمصلى تحصل له القوة النفسية الداخية حين يحقق التوحيد، ويكتسب القوة والمدد من رب العالمين، فيصبح قويا نشيطا، فإن ثبات القدمين فى الصلاة هو الطريق لثبات القدمين فى الحياة".

(مفاتح إقامة الصلاة -بتصرف يسير-)

أتمنى يا صديقى أن يكون وفقنى الله فى إيصال المعنى لقلبك فى هذا المبحث، لأننى صدقا قد أصابنى التعب فيه بسبب كثرة الصوارف التى لقيتها أثناء كتابتى لهذا المبحث تحديدا، فاللهم لك الحمد على ما مننت به علىَّ بمعانى سطرتها بفضلك فى صفحات هذا الكتاب، وختاما يا صديقى أوصيك بمجاهدة نفسك، وكن دائم التضرع واللجوء إلى الله، والاستعانة به سبحانه وتعالى، اطلب منه العون على ما يصرفك عن طاعته، اطلب منه ألا يسلمك إلى نفسك فتغفل عنها كما غفلت عن ذكره سبحانه، ولمن يشعر أنه قد بعد عليه طريق الرجوع، وغلبته الغفلة فتاهت بها خطواته فى الدنيا لاهيا ساهيا عن ذكر الله، لمن غلبه الشيطان وظلم نفسه بغفلة خرج بها من جنة ذكر الله فى الأرض، عد إلى الله تائبا، فأن تأتى متأخرا خير من ألا تأتى يا صديقى، اثبت حضور بقلبك سائلا الله أن يرزقك الخشية ويرزق قلبك الحضور فى صلاته، سائلا الله عز وجل وجل أن يدخلك جنة الأرض مرة أخرى، أن يجعل حالك مثل حال من أنعم عليهم، تأمل: "سبحان من أنعم على أقوام، كلما لاحت لهم لذة نصبوا ميزان العقل، ونظروا فيما يجنى،

وتلمحوا ما يؤثر تركها، فرجحوا الأصلح، وطمس على قلوب، فهى ترى صورة الشئ، وتنسى جناياته".

(صيد الخاطر)

اسأله كما سأله ابن الجوزى فى دعائه قائلا: نسأل الله عز وجل يقظة تامة، تحركنا إلى طلب الفضائل، وتمنعنا من اختيار الرذائل، فإنه إن وفق، وإلا فلا نافع.

••••

المبحث الثالث

-ضعف اليقين عند الابتلاء-

قدَّر الله على الفقير إلى فضله أن أمر بمشاكل طاحنة فى مختلف جبهات حياتى، عاصفة تلو الأخرى تعصف بحصون حسن ظنى بالله بلا هوادة، بتتابع سريع الوتيرة ولله الحمد على كل حال، ونظرا لما أمر به، ولأننى لا أريد أن أشكو قضاء ربى وما قدَّره علىَّ، فقد قررت أن أفضفض بهمسات قلب متعب -ليس بشاكيا- إليك يا صديقى، ولعل تلك العواصف تكون سبب فى رسالة خير إلى قلبك تثبت بها فيثيبنى ربى ويرزقنى الثبات فى مواجهة ما أمر به.

الحمد لله الذى أكرمنى بذكره فى عز محنتى، أكرمنى بتذكر إنا لله وإنا إليه راجعون، أكرمنى بتفسير السعدى لأطمئن به قلبى وقلب كل قارئ لهذه الصفحات، وهو أيضا مبتلى، تأمل بقلبك يا صديقى:

﴿ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴾ [البقرة ١٥٦]

"فالصابرين، هم الذين فازوا بالبشارة العظيمة، والمنحة الجسيمة، ثم وصفهم بقوله: ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ ﴾ وهي كل ما يؤلم القلب أو البدن أو كليهما مما تقدم ذكره. ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ ﴾ أي: مملوكون لله، مدبرون تحت أمره

وتصريفه، فليس لنا من أنفسنا وأموالنا شيء، فإذا ابتلانا بشيء منها، فقد تصرف أرحم الراحمين، بمماليكه وأمواله، فلا اعتراض عليه، بل من كمال عبودية العبد، علمه، بأن وقوع البلية من المالك الحكيم، الذي أرحم بعبده من نفسه، فيوجب له ذلك، الرضا عن الله، والشكر له على تدبيره، لما هو خير لعبده، وإن لم يشعر بذلك".

(تفسير السعدى)

كانت صلاة العشاء قد حضر توقيتها، وإذا بشيطانى يحاول أن يفتر عزيمتى، يوسوس لى طامعا أن يجعلنى ممن يعبدون الله على حرف: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ﴾ [الحج ١١].

"ويربط إيمانه بدنياه، فإن عاش في صحة وسَعَة استمر على عبادته، وإن حصل له ابتلاء بمكروه وشدة عزا شؤم ذلك إلى دينه، فرجع عنه كمن ينقلب على وجهه بعد استقامة، فهو بذلك قد خسر الدنيا".

(التفسير الميسر)

ذاك الرجيم أتانى بوسوسته طامعا ألا أصلى بحجة أنى قد أصيب تفكيرى بالشلل، لا وجود لأى حلول للخروج مما أمر به، ولا سبيل لأى هدنة مع تلك العواصف -المحن والبلايا- لتلوح أعلامها البيضاء فى أفق الساعات والأيام القادمة معلنة السلام، فإذا بى بفضل ربى أتذكر أن النبى كان إذا همه

أو حزنه شئ، كان يلجأ إلى الصلاة، ليعتصم بحول الله وبقوته فى مواجهة ما يواجهه فى دنياه، تذكرت تلك الخاطرة فوجدت بحول الله وقوته فى داخلى من القوة لكى أقوم أتوضأ لأصلى الصلاة المكتوبة بفضل الله.

وإذا بلسانى فى الصلاة يشكو لله حالى داعيا إياه ومذكرا لنفسى، وجدتنى لا ذكر على لسانى فى الصلاة إلا وهو (إنا لله وإنا إليه راجعون)، صدقا لا تزال البلايا فى هجومها بقوة تترا على قلبى، ولكنى كلما كنت أردد فى الصلاة إنا لله وإنا إليه راجعون أجد داخلى نور يحقر الدنيا فى قلبى، جعلنى هذا الذكر أتذكر أنى إلى لقاء مع الله، جعلنى أتخيل لحظة خروجى من هذه الدنيا محمولا فى كفنى، وإذا بقلبى يهدأ وبالعواصف والبلايا تغيب عن بالى برغم وجودها -بلا حلول- حتى كتابتى لهذه السطور.

أشكر الله على ما منَّ به على قلبى من السكينة لأهدأ، ولا أدعى الفضيلة ولكن أحمد الله على تطبيق ما ذكرناه سويا فى صفحات هذا الفصل، أشكر الله الذى سترنى ولم يدخلنى فى قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴾ [الصف ٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴾ "أي: لم تقولون الخير وتحثون عليه، وربما تمدحتم به وأنتم لا تفعلونه، وتنهون عن الشر وربما نزهتم أنفسكم عنه، وأنتم متلوثون به ومتصفون به".

(تفسير السعدى)

وسبحان الله -مدبر الأمر- إذا بى أغفو مجهدا من كثرة التفكير فيما يحدث لى، من بعد ما وجدت نفسى وسط سباق محموم من الأسئلة التى تتساءل ما السبيل إلى انفراج ذلك الابتلاء ؟، وقد غفوت على قناة القرآن الكريم، وسبحان الله أجد نفسى وأنا أصحو على جملة من آيات الله، جملة مكونة من حرفين (الصلح خير)، وكأنها رسالة تولى منه سبحانه وتعالى تنير لى الطريق فى جزء مما أمر به من مشاكل، وبرغم أن الرسالة كانت من الصعب على قلبى وعلى نفسى أن أقوم بتنفيذها ولكن لك منى سيدى ومولاى السمع والطاعة، فأطعته سبحانه وحاولت أن أنفذ ما أمرنى به فى رسالته، وليزيد سبحانه اليقين بقلبى كى يثبت على ما أمر به أتانى بتلك الرسالة من بعد الرسالة الأولى:

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [البقرة ١٥٥]

أصدقك القول يا صديقى إن الله الذى خلق، والذى يدبر الأمر، الوالى، الذى يسمع ويرى، وهو معنا بعلمه أينما كنا، حاشاه سبحانه أن يتركنا لعواصف الابتلاء والعسر من دون يسر يهون علينا الطريق، فالحمد لله الذى أكرمنى بإرشاده، فوجدت قلبى من بعدها يردد: سمعنا وأطعنا، سأصبر يا ربى، فسبحان من أبدل خوفى بسكينة الاستسلام لقضائه، والرضا بحكمه فيما خلق، وما أنا إلا مخلوق من خلقه ماضٍ فى حكمه، عدلٌ فىَّ قضاؤه.

ومما زادنى ثباتاً على تلك المحنة -ولنا فيه يا صديقى فائدة عظيمة بإذن الله- أنى سألت نفسى سؤالا: أهناك أى أسباب قد غفلت عنها ولم آخذ بها ؟ فقلت لنفسى: لا، قد أخذت بكل الأسباب المتاحة لدرء ذلك البلاء عنى، فزدت على ذلك السؤال بسؤال آخر: هل لى يد فيما يحدث ؟ بمعنى أنه قد حدث كرد فعل لفعلى ؟ فأجبت نفسى أنى لا يد لى فيه، مكررا أنى قد أخذت بالأسباب المتاحة لى لكى أحتاط من عدم وقوعه، ولكن قدر الله وما شاء فعل، فاطمئن قلبى من بعد أن أجبت على هذين السؤالين بهكذا جواب، فمادام الأمر ليس بيدى، ومادمت أخذت بالأسباب المتاحة قدر وسعى وطاقتى للخروج من تلك المحن، فذلك قضاء من الله، وقضاء الله الحكيم وقدره كله خير وإن آلمنى، فصبرت واحتسبت ما أمر به عند من طمأننى ببشارته للصابرين، تأمل المعنى فى تفسير السعدى:

"فهذه الأمور، لا بد أن تقع، لأن العليم الخبير، أخبر بها، فوقعت كما أخبر، فإذا وقعت انقسم الناس قسمين: جازعين وصابرين، فالجازع، حصلت له المصيبتان، فوات المحبوب، وهو وجود هذه المصيبة، وفوات ما هو أعظم منها، وهو الأجر بامتثال أمر الله بالصبر، ففاز بالخسارة والحرمان، ونقص ما معه من الإيمان، وفاته الصبر والرضا والشكران، وحصل [له] السخط الدال على شدة النقصان. وأما من وفقه الله للصبر عند وجود هذه المصائب، فحبس نفسه عن التسخط، قولا وفعلا، واحتسب أجرها عند الله،

وعلم أن ما يدركه من الأجر بصبره أعظم من المصيبة التي حصلت له، بل المصيبة تكون نعمة في حقه، لأنها صارت طريقا لحصول ما هو خير له وأنفع منها، فقد امتثل أمر الله، وفاز بالثواب، فلهذا قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ أي: بشرهم بأنهم يوفون أجرهم بغير حساب".

(تفسير السعدى)

وختاما لرسالتى إلى قلبك يا صديقى، لعل فى ذلك الابتلاء تكفيرا لذنوب، لم تكن لتُكفر إلا بتلك العواصف، فاللهم لك الحمد.

"وأنا أقول عن نفسى: ما نزلت بى آفة أو غم أو ضيق صدر إلا بزلل أعرفه، حتى يمكننى أن أقول: هذا بالشئ الفلانى. وربما تأولت فيما بعد، فأرى العقوبة! فينبغى للإنسان أن يترقب جزاء الذنوب، فقل أن يسلم منه، وليجتهد فى التوبة؛ فقد روى فى الحديث: [عن عبد الله بن عباس:] لم أرَ شيئًا أحسنَ طلبًا ولا أسرعَ إدْراكًا من مصيبَةٍ حديثَةٍ لذنبٍ قديمٍ إنَّ الحَسَناتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئاتِ ذَلِكَ ذِكْرى لِلذّاكِرِينَ. الهيثمي (ت ٨٠٧)، مجمع الزوائد ٤٢/٧".

(صيد الخاطر لابن الجوزى)

وسبحان الله، قد أتتنى خاطرة بأن البلاء إذا اشتد فقد قارب على الزوال، وقد زالت تلك المشاكل فى لمح البصر، وكأنها لم تكن، ورب الكعبة – وهى المرة الأولى التى أحلف لك لتصدقنى– قد زالت عنى تلك المشاكل فى

نفس اليوم ولكن ليلا، زالت بلطف عجيب، من غير حول منى ولا قوة، كل ما فعلته أنى صبرت وشكوت حالى لله، واحتسبت وجعى عنده، وأخذت بالأسباب المتاحة قدر وسعى وطاقتى، وتتبعت رسائله وقمت بتنفيذها برغم صعوبتها، وانتظرت الفرج منه سبحانه وتعالى، وها أنا وقد أبدلنى ربى بيسر من بعد عسر، وبسكينة من بعد خوف، فاللهم لك الحمد.

صدقا لعل في البلايا تكفيرا لما فعلناه وستره علينا، تأمل لعلها رسالة لقلوبنا:

"محزن جهل الإنسان بأنه مأجور على أحزان قلبه، وعلى وحدته وعلى تحمله للأذى وصبره على البلاء، مأجور حتى على ابتسامته الكاذبة التي يرسمها بين أهله ليوهمهم بسعادته لكيلا يبتئسوا، مأجور حتى على حزنه على فعل المعاصي والإسراف فيها، محزن أنه يجهل معيّة الله التي تلازمه في كل حالاته ! يا أيها الحزين الوحيد، هلأ علمتَ سرَّ صبرك إلى الآن برغم انهيارك وبرغم أثقال تحملها في قلبك ولا يبالي بها أحد ؟ إنه الله مولاك !"

(مقال من صفحة السعادة سنة على الفيس بوك)

....

المبحث الرابع

- اللهم أرنا الأشياء كما هى-

فى هذا المبحث بإذن الله سنتناول داء خطير يحيط بقلوبنا، نراه بأعيننا، ونسمعه بآذاننا، فنتساءل أين السبيل لنصرة الخير ومن هم على الحق باتباع كتاب الله وسنة رسوله الصحيحة، نراه يزلزل قلوبنا، فيربك بأحداثه ووقائعه عقولنا، فتأمل بعقلك ما هو آت من سطور يا صديقى..

ليس معنى شيوع الباطل، وتزيينه فى قلوب الناس، حتى ألفهم وألفوه، أحاط بهم وبقلويهم، أعماها وأصبح الباطل هو المعتاد، أن تعتاده أنت أيضا يا صديقى وتألفه جوارحك، ولا تنكره ولو بأضعف الإيمان الذى هو الإنكار بالقلب، وبالمقابل أصبح الحق الذى من المفترض أن يكون هو الأقوى، أصبح فى موضع دفاع أغلب الوقت، ما بين أنا لست متشدد، وما رأيك فى كذا ؟، أصبح الحق محاصرا بشلال من الأسئلة -الجاهزة بردود فعلهم المعدة مسبقًا على جوابك-، مرورا بنظرات التعجب وكأنك لست بشرا منهم، وبرغم كوننا مختلفين فى أشكالنا، لكن مادام هذا الاختلاف يحكمه التقليد الغربى فلا مشكلة، أما إن كان يحكمه سنة رسول الله ﷺ الصحيحة، فأنت وقتها أصبحت تحت طائلة ظنون الإثم ممن حولك، وكأنهم يعرفونك

كما يعرفون أنفسهم -وياليتهم يعرفونها-، وياليتهم يعرفوك، فلو عرفوك حق المعرفة، وما جدَّ على قلبك من محبتك إياهم لعرفوا يقينا أنك تشفق على ما هم عليه من باطل، ليس استنادا لرأيك الشخصى، ولا لرأى الشيخ فلان، ولكن أسقط نفسك بأحوالها على كتاب الله وسنة رسوله محمد ﷺ الصحيحة، ودعنا بعدها نبدأ النقاش الذى يستند على شرع الله كحكم عدل بيننا وهو أحكم الحاكمين سبحانه وتعالى.

عند وصول تلك الندوة داخلك لذروة مناقشتها، إذا بك تصحو من غفلتك على صوت أنفاس نفسك الهلوعة، من مجرد تخيل نظرات من حولك منهم إليك، نظرات من يراك سفيها ولا تدرك مصلحتك، مضحوك عليك، ويبدأ وقتها ذلك الرجيم يوسوس لها كى تزداد تلك الجهولة هلعا، حتى تبتعد عن من حولك وتنزوى، بحجج واهية ليس حتى فيها من الحقيقة من شئ.

وإذا بكتاب الله المبين بآياته المنيرة لظلام القلب، والمزهقة لوساوس الشيطان، تفتح لك قبس من نور الحق داخل قلبك؛

أفق فأنت لم تخلق لتترك الباطل يملك الدنيا، ويظلمها بشيوعه فيها، مُجَهِّلا من عليها بطبعه، لم تخلق لتترك نصرة دين الله، وأى شرف من أن تكون صامدا بسمت رسولك محمد قولا وفعلا، ظاهرا فى شكلك من تأسيك بشكله، وفى معاملاته فهو أسوتك الحسنة كما أمرنا الله سبحانه وتعالى،

ومتأسى به باطنا فى قلبك بأن يكون عملك مخلصا لله وحده قاصدا به رضاه جل وعلا.

أفق ولا تستسلم بهروبك لهروبك، أظهِر سنة رسولنا محمد ﷺ فهو على الحق المبين، وأنت المأمور بطاعته فطاعته ﷺ من طاعة الله، أظهر سنته وانشرها واثبت على دين الله باقتداء رسوله ﷺ، لتدمغ ذلك الباطل، لتعلوه وتغلبه وتبطله، بإظهار سنة من هو على الحق المبين، ولا تخجل من كثرة من هم على باطل، لا تخجل من نظراتهم، ولا من استيائهم، ولا من أى رد فعل لهم، لا تبالى، عسى أن تكون ممن يقذف بهم ربك من الحق، على ذلك الباطل فيزهق به أباطيل كذبه.

ولكى لا تقلق فالحق سبحانه وتعالى أكد هذا الواقع بأنهم كثرة، فتأهب واستعد، ولا تكن ممن اتبعوا تقليد الباطل لكثرة أتباعه، فتعرض عن الحق أعاذنا الله من اتباع الباطل، تذكر أنهم كثرة كما قال تعالى: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء ٢٤]، وفى كثرة ذكر العون منه سبحانه وتعالى فى باقى آيات سورة الأنبياء ما فيه من المعانى النفيسة لقلوب تتدبر، فقد ذكر سبحانه العون بالنجاة لأنبيائه ورسله فى لفظ [فأنجينا] الذى تم ذكره ٥ مرات فى سورة الأنبياء وهى أكثر سورة تم ذكر ذلك اللفظ فيها، يسرد لنا الله عز وجل كيف أنجى رسله من الأذى الذى تعرضوا له ممن حولهم، أذى قد تمثل فى سخرية، ومكر، وإظهار لنوايا السوء أو إخفاء تلك النوايا،

وقد ذكر سبحانه وتعالى تفاصيل ذلك العون بالاستجابة لدعائهم فقد ذكر لفظ [فاستجبنا] ٤ مرات فى سورة الأنبياء ولم تذكر فى أى سورة أخرى فى القرآن بهذا اللفظ، استجاب الله لهم مفرجاً ما أصاب نفوسهم من غم وهم وحزن مما لاقوه من ابتلاءات فى دنياهم، أو استجابة بإزاحة أى مرض جسدى اعتراهم، فلعل فى ذكر ذلك العون بالنجاة وتفاصيل استجابته سبحانه لدعائهم، ما فيه البشارة لقلوبنا بأن تثبت أمام عواصف البلايا والفتن، تثبت وتدعو الله بيقين أن استجابته آتية لا محالة، وأن نصر الله آت كما وعدنا.

ولعل فى الإتيان بلفظ استجبنا بدلا من لفظ أجبنا، دليلا على المبالغة فى الإجابة منه سبحانه وتعالى لدعاء عباده ممن يستغيثون بنصره من كيد من يمكرون بهم.

ولعل كل ما ذكرناه مجتمعا مقصود منه سبحانه وتعالى؛ زيادة فى الأمان لقلوبنا، ووعدا منه سبحانه وتعالى بنصرة من ينصره، ليس مجرد نصرا عاديا ولكنه نصر دامغ يهلك به أصل الباطل أمام نور الحق منه سبحانه وتعالى، فاصبر واصطبر ولازم باب الدعاء، ولا تخاف يا عبد الله وأبشر فأنت فى معية الله وحفظه.

وتأتى نهاية السورة الكريمة بخير الختام: ﴿قَٰلَ رَبِّ ٱحۡكُم بِٱلۡحَقِّۗ وَرَبُّنَا ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [الأنبياء ١١٢] ختام بالدعاء لله سبحانه وتعالى

بالحكم بالحق بيننا وبين من يتبعون الباطل، وطلب الاستعانة بالرحمن بعباده جل وعلا، أن نلجأ إليه ونطلب منه الاستعانة على ما يصفوننا به من أوصاف لا تمت لنا بصلة، أقل ما يقال عنها إنها باطلة كاتباعهم باطل أنفسهم، واتخاذهم الدنيا لهو ولعبا، فنسوا اقتراب الساعة برغم ما بين أيديهم من ذكر فى كتاب الله، فهم يسمعوه بقلوب لاهية، يسمعوه وهم يلعبون ولا حول ولا قوة إلا بالله، ﴿وَرَبُّنَا ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ ((أي: نسأل ربنا الرحمن، ونستعين به على ما تصفون، من قولكم سنظهر عليكم، وسيضمحل دينكم، فنحن في هذا، لا نعجب بأنفسنا، ولا نتكل على حولنا وقوتنا، وإنما نستعين بالرحمن، الذي ناصية كل مخلوق بيده، ونرجوه أن يتم ما استعناه به من رحمته، وقد فعل، ولله الحمد)).

تفسير السعدى

اللهم أرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه،
وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه.

المحطة الأخيرة

ها نحن يا صديقى قد وصلنا للمحطة الأخيرة من هذا الكتاب، وصدقا فى أثناء رحلتى فى كتابته وإعادة قراءته ومراجعته، فى أثناء تلك الرحلة قد منَّ الله على قلبى بجنوده من سكينة فى القلب، وصلاح للبال، وثبات فى عقيدة التوحيد، وحلاوةً للذكر لساناً وقلبا، وثبات لقلبى بالصبر عند الابتلاء، وبالشكر عند زواله وعند استحضار النعم.

قد منَّ الله علىَّ بالحياة الطيبة فى جنة ذكره فى الأرض، التى كلما وسوس الشيطان لنفسى محاولا إخراجى من تلك الجنة، بأن أقترف الذنوب لينقص الإيمان فى قلبى، وتفتر عزيمتى على الطاعات والعبادات، وصولا إلى زعزعة استقرار قلبى بزعزعة جذور عقيدة التوحيد فى داخلى وهذا والله هو الخسران المبين فى الدنيا، كلما نازعنى الشيطان بوساوسه هاجمته بجيوش من ذكر الله، مرة بالاستعاذة منه، ومرة بلا حول لى على دفع أذاه ووساوسه، ولا قوة لى على جلب منفعة إلا بالله، ومرة بالاستعاذة من الهم والحزن والعجز والكسل فمن مداخل الشيطان حينما ييأس من فتور عزيمتنا، يوسوس بأفكار يخوفنا بها من الغد لنحزن ونصاب بالهم، فنعجز عن حركاتنا فى الدنيا، فتذكر جيدا ذلك المدخل وحاوطه بأذكار الاستعاذة كما ذكرت.

هى معركة مصغرة من معارك كثيرة سنخوضها مع ذلك العدو المبين، الشيطان الرجيم -المَطْرُودِ أوِ المَلْعُونِ-، فلا تنسى أنك بالله تنتصر، وبالله تقى نفسك من وساوسه، وبالله تهتدى، وبالله وبذكره تثبت عقيدة التوحيد فى قلبك فلا يضرك من عليك مادام الله معك.

قد انتهينا فى الفصل السابق من الحديث عن ضعف اليقين بعقيدة لا إله إلا الله فى قلوبنا، والأسباب التى تؤدى إلى ذلك الضعف والذى يؤدى بالتبعية إلى خروجنا من جنة ذكر الله فى أرضه، أما الآن ونحن على أعتاب المحطة الأخيرة فى جلساتنا سويا يا صديقى، ففى هذا الفصل سنتكلم عن زيادة الأنس بالحياة الطيبة فى جنة الأرض، وكيف لا يزداد الأنس فينا ونحن بصدد تعلم اليسير من مما يفتح الله علينا فى تدبر الأدعية المذكورة فى القرآن.

بصراحة سأذكر أكثر ثلاثة أدعية كان لى معهم صولات وجولات متنعما بالأنس بذكرهم، قويا بمعانيهم، ثابتا بإشاراتهم، كانوا والله لى نعم الرسائل والإرشادات والتربية من الله سبحانه وتعالى، وحتى لا أطيل سمِّ الله يا صديقى ولنبدأ جلستنا فى تدبر دعاء الخير؟

المبحث الأول

- دعاء الخير-

قد أكرمنى الله عز وجل بالتعرف على هذا الدعاء، ومنَّ على بصيرة قلبى بفهم اليسير من دقائقه، فأحببت أن أسردها لقلبك يا صديقى لعل فى طيات السطور القادمة رسالة أو إشارة إلى قلبك ونحن لا ندرى.

منذ قراءتى لهذا الدعاء، وبعد ترديدى له لأول مرة فى حياتى قد وجدت الخير والخير الكثير بفضل الله تعالى، مما جعلنى أنشغل بتدبره أكثر، وتدبر حالة سيدنا موسى عليه السلام عند قوله لهذا الدعاء، تعالى نتأمل حاله سويا: "قال ابن عباس: سار من مصر إلى مدين لم يأكل إلا البقل وورق الشجر، وكان حافيا فسقطت نعلا قدميه من الجفاء وجلس فى الظل - وهو صفوة الله من خلقه- وإن بطنه للاصق بظهره من الجوع، وإن خضرة البقل لترى من داخل جوفه وإنه لمحتاج إلى شق تمرة".

(قصص الأنبياء لابن كثير)

أرأيت حاله وتأملته متخيلا كيف ستكون مشاعرك إذا مررت بنفس ظروفه، قد خرجت هاربا من مدينتك التى تربيت فيها، وقد كنت العزيز فيها لما كان لك من تربية محاطة باهتمام زوجة فرعون، وما كانت تنفقه من

رواتب وملابس عليك وأنت ترى فى بيت أمك، خرج هاربا خائفا وقد قال الله تعالى عنه: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ [طه ٣٨-٣٩] ((أى: تطعم وترفه وتغذى بأطيب المآكل، وتلبس أحسن الملابس بمرأى منى، وذلك كله بحفظى وكلاءتى لك فيما صنعت بك ولك، وقدرته من الأمور التى لا يقدر عليها غيرى)).

قصص الأنبياء لابن كثير

من فى مثل حاله لكانت مشاعره مضطربة، باحث لنفسه عن مأوى، ولن يفكر إلا فى نفسه وما وصل إليه حاله، غير مبالى برؤية ملامح الآخرين، فضلا عن اهتمامه بمشاكلهم، هذا ومن المستحيل لمن فى مثل حاله أن يحاول حلها ؟! وقد فعل سيدنا موسى المستحيل ذهنيا أن نتخيل فعله فى وسط مشاعر التوتر والخوف والقلق التى كانت تعصر قلبه، ولكنها معية الله سبحانه وتعالى.

بعد أن دخل سيدنا موسى إلى بلاد مدين -هاربا من بطش فرعون- إذا به يلفت نظره بنتان تحاولان منع أغنامهما من أن يشربوا من البئر وسط بقية أغنام الناس، فقام إليهما فسألهما: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ [القصص ٢٣]، فقام فسقى لهما ولأغنامهما، وبعد ذلك لم ينتظر منهم لفظة شكر، ولا حتى أهمه ما يقوله الناس عنه أو نظراتهم له، بل توارى إلى ظل شجرة ودعا بدعاء الخير:

﴿ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ [القصص ٢٤]

"﴿فَقَالَ﴾ في تلك الحالة، مسترزقا ربه ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ أي: إني مفتقر للخير الذي تسوقه إليَّ وتيسره لي. وهذا سؤال منه بحاله، والسؤال بالحال أبلغ من السؤال بلسان المقال، فلم يزل في هذه الحالة داعيا ربه متملقا".

(تفسير السعدى)

لم يطلب منهم رد الجميل، ولم ينظر لفعله بالأساس، كل ما قد اهتم به وقتها هو أنه يطلب من الله الخير -الطعام- لشدة فقره وحاجته إليه، وقد جاءه الخير فى نفس يومه من زوجة ووظيفة ومأوى، فسبحان من بيده الخير.

أتمنى أن تعيش حالة الدعاء وأن تدعو الله به، وصدقا لى هنا نكتة -لم أجد أحد تكلم عنها- اسمح لى أن أقصها عليك، إنى أدعو هذا الدعاء دائما عندما ييسر الله لى فعل الخير لمن حولى، كما كنت أجد حال سيدنا موسى أنه عندما قام بمساعدة ما لشخص غريب، لم ينتظر منه ردا -شكر- بقول أو بفعل، ولكنه توارى ودعا الله شاكرا إياه على ما هداه إلى فعل الخير، منتظرا الرد منه وحده سبحانه وتعالى، هكذا أحتسب حالى عندما بوفقنى الله لمساعدة أى شخص، قريب أو غريب، دائما ييسر الله عز وجل لى هذا الدعاء على لسانى، أقوله منتظرا العطاء والخير من صاحب الفضل، من بيده الخير سبحانه وتعالى.

ختاما لهذا المبحث، أيا كانت حالتك التى تستحضرها عند ترديدك لدعاء الخير، فأبشر بالخير يا صديقى، وستجده بإذن الله وفضله، ألقاك فى تدبر لدعاء آخر.

....

المبحث الثانى

- دعاء صلاح الأبناء-

من منا لا يتمنى لأبنائه وبناته أن يعيشوا حياة أفضل مما عاش، وأن يكونوا فى وضع نفسى واجتماعى واقتصادى أفضل مما كان هو فيه، والأهم من ذلك كله أن يكونوا عبادا لله صالحين، ندخل بهم ومعهم الجنة بإذن الله وفضله، ولذلك كان لهذا الدعاء دور مهم إن لم يكن أهم الأسباب فى صلاح الأزواج والذرية، لنحيا تلك الحياة الطيبة، ويزيد تنعمنا بما نقر به عينتا فى الزوج أو الزوجة الصالحة، والذرية الصالحة التى يصلح لنا بها الله تعالى البال.

حتى لا إطيل عليك يا صديقى، فالمعنى من الدعاء بإذن الله ميسر وواضح للقلوب، أدعوك لتدعو به عندما يصيبك التعب من إصلاح زوجك أو ذريتك فى صفة من صفاتهم، أو فى طبع قد صعب عليك إصلاحه، ادعو لهم بهذا الدعاء وأبشر بصلاحهم بإذن الله، تأمل المعنى يا صديقى:

"﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا ﴾ أي: قرنائنا من أصحاب وأقران وزوجات، ﴿ وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ ﴾ أي: تقر بهم أعيننا.

وإذا استقرأنا حالهم وصفاتهم عرفنا من هممهم وعلو مرتبتهم أنهم لا تقر أعينهم حتى يروهم مطيعين لربهم عالمين عاملين.

وهذا كما أنه دعاء لأزواجهم وذرياتهم في صلاحهم فإنه دعاء لأنفسهم لأن نفعه يعود عليهم ولهذا جعلوا ذلك هبة لهم فقالوا: ﴿هَبْ لَنَا﴾ بل دعاؤهم يعود إلى نفع عموم المسلمين لأن بصلاح من ذكر يكون سببا لصلاح كثير ممن يتعلق بهم وينتفع بهم".

(تفسير السعدى)

أراك فى المبحث الأخير القادم، وأنت وأهل بيتك فى خير صحة وخير حال.

....

المبحث الثالث

- الدعاء المعجزة-

إن كانت الكلمات تستطيع أن تسعفنى لأصف لك شعورى تجاه هذا الدعاء، لوصفته لك فى كلمة واحدة (معجزة)، إنه حقا الدعاء المعجزة، واسمح لى أن أقص عليك آخر قصصى لك فى هذا الكتاب، الذى تشرفت فيه بمصاحبتك بين جنبات صفحاته، نقطف من هنا معنى، ونرتوى بأثر أو نقل من هناك، حتى لا أطيل سأحكى لك حكاية عيشى بين معانى ذلك الدعاء العظيم.

كنت فى بداية عملى لأدير مصنع جديد، لأقوم بعمل خطة تسويقية له، حيث أن طبيعة عملى هى التخطيط والقيام بإعلانات أون لاين للشركات والمصانع المختلفة، المهم كنت حديث العهد بذلك المصنع، والجدير بالذكر أن كل العاملين به كانوا على غير دراية بعملى، وكنت كلما قمت بالحديث مع أحدهم ليشرح لى عن طبيعة عمله لكى أفهم كيف أفيد هذا المصنع بإعلانات يكون لها الأثر المباسر فى تحريك مبيعاته للأمام -وهو مصنع حكومى-، كلما كنت أسأل موظف عن طبيعة عمله كان يصعب الموضوع أكثر علىَّ، وذلك بتضييق مساحة العملاء المستهدفين الذى من المحتمل أن يتعامل المصنع معهم.

وأذكر جيدا أنى كنت أزداد إصرارا مع كل جواب منهم يمنعنى بسلب أحد الأسباب التى من الممكن أن تؤدى لنجاح دورى فى هذا المصنع وبالتالى إمكانية استمرارى فى عملى والحفاظ عليه من ضمن عملائى الدائمين، كنت أزداد إصرارا ورغبة مع كل سؤال، عسى به أهتدى لخيط ولو رفيع يدلنى على كيفية عمل خطة تسويقية ناجحة لذلك المصنع ذو النشاط التجارى الصعب فهمه، وعند آخر عزم لى، ومع آخر سؤال أسأله، أحسست وقتها أن لا طاقة لى بفهم هذا المكان.

ولكى تتضح الرؤية عندك يا صديقى، فقد كان مصنع كبير من حيث المنتجات المصنعة من خلاله، ومن حيث مساحته، ومن حيث العمالة والموظفين الذين كانوا يعملوا به، وكان منشأ منذ ما يقارب الأربعون عاما، ولكنه برغم ذلك كان روتينى فى عمله للغاية، الكل يعمل وفق روتين ثابت – ناجح كان أم فاشل– منذ لحظة إنشاؤه ؟! الكل –إلا من رحم ربى– لا يرى أى ملامح للأمل فى التغيير للأفضل ؟! نظام روتينى يعمل به موظفين غلب عليهم طابع النظام ورتابته، فأدى ذلك إلى خروج منتج ذو جودة ضعيفة لا يستطيع منافسة القطاع الخاص فى مجاله ؟! وبالتالى يبقى الوضع على ما هو عليه ؟! أصبحت أرى اليأس وهو يتسلل إلى ذهنى وعقلى زاحفا كالأفعى ؟! أرى نابيه وهما يمتصان آخر أمل لى فى إنجاح عملى هناك ؟! وعند تلك اللحظة الأخيرة، عندما قد قارب رصيد عزمى على النفاذ،

وضعفت طاقتى، أذكر حالى جيدا حينها ؟

كنت واضعا يدى أتحسس بها رأسى، وكان لسان حالى يسأل: كيف سأنجح هنا برغم غياب أى سبب لنجاحى ؟! وحينها وقعت عينى على لافتة قديمة مهترئة، كانت معلقة بجوار دولاب الملابس القديم الخاص بالعمال، وقد لفت نظرى تلك الدعوة المكتوبة عليها، لافتى محاطة بإطار بنى قد بهت لونه، وبداخلها لوحة باللون الأصفر، مكتوب عليها بالأحمر: ﴿ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴾ [القمر ١٠]، حينها إحسست بأنها رسالة من الله، إشارة وإرشاد من الوالى سبحانه وتعالى، من يدبر الأمر، وقفت حينها أردد بلسانى حروف ذلك الدعاء: رب أنى مغلوب فانتصر، رب أنى مغلوب فانتصر، وأحسست بدفء معناه يحيط بقلبى وبعقلى، صدقا يا صديقى أحسست حينها بالنصر برغم غياب أسبابه ؟! أحسست بعناية من يسبب الأسباب لى، ومن ذا الذى يستطيع أن يغلبنى والله معى ؟ من سينصرنى سواه أمام غلبة أسباب الفشل وغياب مقومات النجاح ؟ أيقنت حينها أنى بإذن الله سأنتصر وقد انتصرت حقا.

فى خلال ستة أشهر استطعت أن أنجح فى عملى بشهادة كل من عملوا معى، وبرغم أنى لم أكمل معهم لظروف روتين النظام الذى وسأعترف لك هنا كنت لا أستطيع أن أتناغم معه، بحكم طبيعة عملى فى القطاع الخاص والعمل الحر تحديدا منذ سبع سنوات، ولكن برغم ذلك فقد نصرنى الله

سبحانه وتعالى فى الكثير والكثير من المواقف التى كنت أمر بها أثناء عملى فى ذلك المصنع، فالحمد لله على أكرمنى بتوفيقه أن أصل إليه، ولمن يندهش منكم كيف هو النجاح وقد انتهى عملى هناك ولم يجدد التعاقد لى، أرد عليه قائلا ليس مطلوب منا يا صديقى سوا السعى والأخذ بالأسباب المتاحة، والتى كانت فى ذلك المصنع غير متاحة لا عندهم، ولا فى داخلى بسبب ما كنت أمر به من تعب ولكنها قصة أخرى لعلى أحكيها لك فى وقت آخر يا صديقى.

هذا الدعاء يا صديقى، أرجوك أن لا يفارق لسانك حين تنتهى أسبابك، حين ينعدم وجودها بالأساس، وستجد معجزة يتوقف عندها عقلك مشدوها من مدى تدبير الله الحكيم لأمور حياتك كلها، سترى حقا الماء الذى انهمر من السماء وملئ الأرض، الماء الذى أغرق به الله سبحانه وتعالى سيدنا نوح حينما دعا بهذا الدعاء، كانت أسباب القوة وقتها غائبة، فلقد دعا قومه ألف سنة إلا خمسين عام، ولم يؤمن به سوا القليل من ضعفاء قومه، ولكنه أخذ بالأسباب، فحينما أوحى الله له ببناء سفينة على البر، لم يكن وقتها يعلم أن المعجزة ستأتى بهذا الشكل وبهكذه كيفية، تحرك وسعى برغم غياب أسباب النجاح، تحمل استهزاء قومه، وحين حدقت المعجزة وأنزل الله من السماء ماء منهمر وأغرق الكافرون، حينها نجى سيدنا نوح عليه السلام، ألم أقل لك يا صديقى إنه دعاء المعجزة حقا.

الحمد لله

وختاما يا صديقى أحببت أن أوصى نفسى وأوصيك بشكر الله، بأن نكون من عباد الله الحامدين، الشاكرين فى السراء والضراء: ﴿أَنِ ٱشۡكُرۡ لِلَّهِۚ وَمَن يَشۡكُرۡ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٞ﴾ [لقمان ١٢]، أن نرى بعيون الحمد ملامح اليسر فى كل عسر، أن نشكر الله على نعمه بأن نطيع الله فيها ولا نعصيه بها، أن نحمده على نعمة البصر بإمعان النظر فى كتابه، وبأن نغض أبصارنا عما نهانا عنه، أن نشكره على نعمة اللسان فننطق به حسنا بكلام طيب كالشجرة الطيبة، ولا نعصى الله به فنغتب هذا ونسب ذاك، بأن يكون هكذا حالنا مع كل نعمة، أفهمتنى يا صديقى.

إن سألك الناس عالحال .. قول الحمد لله

قولها بقلب يساع .. كل النعم جواه

ولا تشتكى اللى بيرحم .. للى مبيرحمش

وتبوح بأوجاعك .. وتقول خلاص مقدرش

الناس آخرهم عطف .. مسكين ويا حرام ومعلش

وكام نظرة فيهم شفقة .. وكلام كتير متقالش

يا صاحبى البكا ممنوع .. بس عادى بينك وبين نفسك

والشبع ده زى الجوع .. حاوطه بسور حمدك

استرها يا ستير .. واجبر بخاطرنا

يا معين الحمل تقيل .. وانت الوحيد يارب

عالم بأحوالنا..

أرجو من الله أن يرزقنا العيش فى جنة الأرض مطمئنين بذكره، وأن يرزقنا الهدى والتقى والعفاف والغنى والهداية والسداد والعفو والعافية فى الدين والدنيا والآخرة، وأن ينعم علينا بنعمة الحياة الطيبة.

تأمل السطور الأخيرة التالية بقلبك، واختر بنفسك لنفسك ما تتمناه لها:

"ذُكر عن شقيق البلخى أنه قال الناس يقولون ثلاثة أقوال وقد خالفوها فى أفعالهم: يقولون نحن عبيد الله وهم يعملون عمل الأحرار وهذا خلاف قولهم، ويقولون إن الله كفيل بأرزاقنا ولا تطمئن قلوبهم إلا بالدنيا وجمع حطامها وهذا أيضا خلاف قولهم، ويقولون لابد لنا من الموت وهم يعملون أعمال من لا يموت وهذا أيضا خلاف قولهم، فانظر لنفسك يا أخى، بأى بدن

تقف بين يدى الله تعالى، وبأى لسان تجيبه، وماذا تقول إذا سألك عن القليل والكثير، فأعد للسؤال جوابا، وللجواب صوابا، واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون".

(مكاشفة القلوب)

صديقك أحمد فؤاد

٢١ رجب لسنة ١٤٤٤ هجرية

الموافق ١٢ فبراير لسنة ٢٠٢٣م

.....

فهرس الكتاب

رسالة ٥
أمَّن يجيب المضطَّر..٧
سبق المُفَرِّدون...١٣
التوحيد ٢١
ثمرة التَفَكُّر..٢٧
نقطة نظام..٣٣
لله ذات ٣٥
نفسه سبحانه ٣٦
وجه ربنا سبحانه ٣٨
حجاب وجهه تبارك وتعالى ٤١
لله سبحانه يدان...٤٢
عظم يدى الرب سبحانه وتعالى ٤٧
كلتا يديه سبحانه يمين ٤٨
أصابع الرحمن..٥٠
ما ذكر فى القدم ٥١
لله سبحانه ساق...٥٣
أين الله ؟ ٥٤

الله يضحك ٥٦
حياته وقيوميته سبحانه..... ٥٨
استراحة قلب ٦٠
ارْضَنا لَك رَبًّا نرضاك لنا عبدا ٦٣
فأثابكم غمًا..... ٦٩
الحزن الغير – مفهوم– مبرر ٧٥
أنت لله..... ٨١
رسالة من الله..... ٨٧
إسم الله الأعظم ٨٩
وجعلنا النهار معاشا..... ٩٧
تاريخ العقيدة ١٠٠
القرآن وحده..... ١٠٢
يوضح تاريخ العقيدة..... ١٠٢
تاريخ العقيدة..... ١٠٤
كما يرويها القرآن الكريم..... ١٠٤
جنة الأرض ١١١
الخروج من الجنة – ضعف اليقين–..... ١١٤
المبحث الأول: – ضعف اليقين بالوالى ؟! –..... ١١٨
المبحث الثانى: – ضعف اليقين بالغفلة– ١٢٤

المبحث الثالث: – ضعف اليقين عند الابتلاء– ١٢٩
المبحث الرابع: – اللهم أرنا الأشياء كما هى– ١٣٦
المحطة الأخيرة ١٤١
المبحث الأول: – دعاء الخير–.....١٤٣
المبحث الثانى: – دعاء صلاح الأبناء– ١٤٧
المبحث الثالث: – الدعاء المعجزة– ١٤٩
فهرس الكتاب ١٥٧

* * *